فريضة الله في الحج ..

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

الآية الكريمة دالة على وجوب الحج ، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بأن الحج أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده ولقد أجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً ، ووجوبه على المكلف فى العمر مرة بالنص والإجماع . ولقد خطب رسول الله ﷺ الناس فقال : « أيها الناس قد فُرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه . ثم قال : الحج مرة فمن زاد فهو تطوع »[1].

وإن الأخطاء التى يقع الناس فيها فى الحج كثيرة جداً تفوق الحصر يرجع كلها إلى الجهل بأحكامه .

من أول هذه الأخطاء وأهمها أن يؤجل المكلف الحج حتى يطعن فى السن ويضعف البدن فيصعب عليه أداء المناسك ويحاول تتبع الرخص مع أن النبى ﷺ سماه جهاداً . فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال : « لكن أفضل الجهاد حجّ مبرور »[2] فكيف يؤجل القوى الفتى هذا الجهاد حتى يضعف . وإن ذلك التأجيل إنما يحدث حيث يظن الرجل أن الحج لا يجب عليه إلا بعد أن يفعل كذا وكذا من أمور دنياه ويجعل له ترتيباً فى ذهنه ليس له أصل فى شرع ولا دين ، وذلك يدل على أمور أخطأ الفهم فيها :

---

(١) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد وغيرهم من حديث أبي هريرة ، وله شواهد من حديث ابن عباس وعلي وأنس بن مالك ، انظرها في الإرواء (رقم ٩٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ١٥٢٠) كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور .

بقلم :
الرئيس
العام

أولها : أن يخاف ألا يرزقه الله بمال يُعلِّم به ولده أو يزوج به ابنته أو يقيم به بعض شأنه إن هو أنفق هذا المال فى الحج مع أن حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة »[٣] ، ولا شك أن هذا الفهم متابعة للشيطان فى وسوسته ومجانبة للحكمة فى التصرف فى المال وظن سيىء بالله سبحانه فتدبر قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيْثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالفَحشَاءِ واللهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَا أُولُو الأَلْبَابِ . وَمَا أَنفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ فأى باب أطيب من الإنفاق فى أداء فريضة الله فى الحج فهل يتعظ أولو الألباب ولا يتابعوا الشيطان يخوفهم الفقر ، ألا يجدوا ما ينفقون فى تعلم أو زواج إذا أنفق فى الحج .

فالعجب لمن يؤمن بالله رزاقاً ثم يخاف إن أنفق ماله فى فرائض الله أن يبخل عليه الله بالمال ينفقه فيما أحل الله .

والأمر الآخر الذى أخطأ فيه الفهم هو فى قوله تعالى : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ فلا يجعل من نفسه مستطيعاً لأمور ليست من الاستطاعة فى شىء .

يقول صاحب محاسن التأويل : فعلى كل مستطيع الحج يجد إليه السبيل بأى وجه كانت الاستطاعة ، الحج . على ظاهر الآية .

(٣) صحيح . أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد والطبري وابن حبان وغيرهم من حديث ابن مسعود وسنده حسن ، وله شواهد من حديث ابن عباس وجابر بن عبد الله وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر ، وانظر الصحيحة (رقم ١٢٠٠) ، والإرواء (رقم ٢٥٢٤) .

قال : وروينا عن عكرمة أنه قال : الاستطاعة : الصحة . وقال الضحاك : إذا كان شاباً صحيحا ليس له مال فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى نسكه . فقال له قائل : أكلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه ؟ قال : لا بل ينطلق إليه ولو حبواً . قال : فكذلك يجب عليه حج البيت .

وقال مالك : الاستطاعة على إطاقة الناس ، الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشى . وآخر يقدر على المشى على رجليه . وقالت طائفة : الاستطاعة الزاد والراحلة .

ويقول القاسمى أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ هذه الآية الكريمة حازت فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه . فمنها : الإتيان بـ (اللام وعلى) فى قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ يعنى أنه حق واجب لله فى رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته . ومنها : أنه ذكر ﴿ النَّاسِ ﴾ ثم أبدل عنه ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ وفيه ضربان من التأكيد . أحدهما : أن الإبدال تثنية المراد وتكرير له . والثانى : إن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له فى صورتين مختلفتين .

ومنها : قوله : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ مكان من لم يحج تغليظاً على تارك الحج ، ومنها : ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ، ومنها : قوله : ﴿ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ولم يقل عنه . وما فيها من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع . انتهى .

وأفعال الحج من الإحرام والطواف والسعى ورمى الجمار والوقوف بعرفة ومزدلفة من الأفعال ما ينبىء عن امتثال العبد لأوامر سيده وإن لم يفهم المقصود من هذه الأوامر إنما يتعين عليه الامتثال ويلزمه الانقياد من غير سؤال عن المقصود ولا طلب الفائدة والمعنى من هذه الأفعال لذا كان من تلبيته ﷺ (لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً لبيك إله الحق) .

ويقول رب العزة سبحانه : ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ يقول السعدى فى تفسيره : يجب أن تعظموا الإحرام بالحج وخصوصاً الواقع فى أشهره وتصونوه من كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية خصوصاً عند النساء وبحضرتهن، والفسوق وهو : جميع المعاصى ومنها محظورات الإحرام والجدال وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة لكونها تثير الشر وتوقع العداوة. والمقصود من الحج الذل والانكسار لله والتقرب إليه بما أمكن من القربات والتنزه عن مقارفة السيئات فإنه بذلك يكون مبروراً . والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة . وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة فى كل مكان وزمان فإنه يتغلظ المنع عنها فى الحج .

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصى حتى يفعل الأوامر ... (ثم يقول أيضاً) : أمر الله تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين والكف عن أموالهم سؤلاً واستشرافاً وفى الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين وزيادة قربة لرب العالمين وهذا الزاد الذى المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع . وأما الزاد الحقيقى المستمر نفعه لصاحبه فى دنياه وأخراه فهو زاد التقوى الذى هو زاد دار القرار والموصل لأكمل لذة وأجل نعيم دائماً وأبداً . انتهى .

وبهذا يلتقى الحج مع سائر العبادات فى أنه زاد يتقى به العبد سخط ربه وناره ويطمع فى جنته التى أعدها للمتقين ، فهذه أيام الحج وأشهره واستعداد الناس للخروج إليه فسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . اللهم هيىء لنا حج بيتك الكريم وتقبل منا ومن سائر المسلمين وارفع عنا الآثام والذنوب وتقبل منا واقبلنا يارب العالمين إنك على كل شىء قدير، والله من وراء القصد .

محمد صفوت نور الدين

قال الأعشى :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثله ... وإنك لم ترصد كما كان أرصدا

الأزهر ليس هو الصوفية

الحمد لله الذى هدى قلوب عباده المؤمنين إليه ، والصلاة والسلام على رسوله الذى بين السنة وحذر من البدعة ، وأكمل الدين وأقام الحجة ... وبعد .

فمما لا شك فيه أن الأزهر الشريف منارة هدى ومشعل ضياء ، قد تعلم فيه وتخرج منه أئمة أعلام دعوا إلى السنة ، وحذروا من البدعة ، وأقاموا الحجة ، ودحضوا الشبهة .

وجاهدوا فى سبيل الله بأقلامهم وألسنتهم .

وبعض الناس قد لا يفهم هذه الحقيقة ؛ فينسب إلى الأزهر ما ليس فيه !

وذلك أن الطرق الصوفية قد أقامت لأنفسها قديماً - وبتعبير أدق - أقيم لها جهاز مستقل يرعى شئونها هو « المجلس الصوفى الأعلى » !!

وهذا الجهاز لا سلطان للأزهر عليه من قريب أو بعيد !! وعندما تقوم الصوفية بنشر البدع والضلالات والخرافات يتساءل الكثير من المسلمين : لماذا يسمح الأزهر بمثل هذه البدع والضلالات ؟ ظناً منهم أن الأزهر هو القائم عليها !! ويفرح أرباب التصوف لمن ينسب أعمالهم وأقوالهم إلى الأزهر لأنه يأوى إلى ركن شديد !!

وعندما يؤلف العلماء كتباً تحذر من الصوفية وبدعها ينبرى بعض الناس للدفاع عن الصوفية وهو يظن أنها جزء من الأزهر !

وقد قال لى قائل : إن مادة التصوف تدرس فى قسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر ! وأقول : هذا ليس دليلاً على صحة التصوف فإن الفلسفة أيضاً تدرس وهى ليست علماً شرعياً . ونحن ندرس عقائد الفرق الضالة لنقف على ضلالهم . فالدراسة شئ والتفريق بين الحق والباطل شئ آخر .

ولسنا بحاجة إلى أن نسوق الأدلة مرة أخرى على ضلال الصوفية وبدعها

☐ لا سلطات للأزهر على المجلس الأعلى للتصوف !
☐ العلمانية تشن معركة شرسة ضد الأزهر الآن !

ومخالفتها للسنة فإن الحق له طريق واحد ، والضلال له طرق كثيرة .

وقد رضى الله لنا الإسلام ديناً فنحن نسمى أنفسنا بما سمانا الله به ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ .

ولكن ما نريد أن نقرره ونؤكد عليه أن الأزهر ليس هو الصوفية ... بل إن الأزهر قد جلس فى أروقته على مر الدهور والعصور كثير من العلماء الكبار ، ومنهم على سبيل المثال : الحافظ ابن حجر العسقلانى والسخاوى والسيوطى ، وابن خلدون والزرقانى وغيرهم رحمهم الله .

ولا يفوتنا أن ننبه قراءنا إلى أن علماء ورؤساء أنصار السنة المحمدية كانوا من رجال الأزهر وعلمائه .

فالشيخ العلامة محمد حامد الفقى مؤسس أنصار السنة رحمه الله كان عالماً أزهرياً وله فى نصر السنة ومحاربة البدعة باع طويل لا ينكره إلا جاحد .

والشيخ العلامة عبد الرحمن الوكيل رحمه الله ، وكذلك الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله ، والشيخ والعالم محمد على عبد الرحيم الرئيس السابق رحمه الله ، وشيخنا العلامة عبد الرازق عفيفى أطال الله بقاءه وأنعم عليه بالصحة والشفاء . كل هؤلاء من كبار علماء الأزهر ، وبفضل الله ثم بجهودهم المخلصة ، انتشرت السنة فى مصر ، وماتت كثير من البدع أو كادت .

وبقيت ثلاث حقائق هامة عن الأزهر أريد أن يتنبه لها الكرام القارئون :

الحقيقة الأولى :

أن الأزهر جهة بيان وإفتاء لا جهة قضاء فعلماؤه يقومون بدورهم فى بيان السنة ومحاربة البدعة والتحذير منها ، فمن شرح الله صدره انتفع بهذا البيان ، ومن كان فى الضلالة أقام على بدعته وضلالته .

وهذا هو شأن الصوفية مع الأزهر منذ عشرات السنين !!

الحقيقة الثانية :

أن الأزهر قد صدر عن علمائه الكثير من الفتاوى الهامة التى تصحح عقائد المسلمين وتحول بينهم وبين كثير من البدع والمنكرات المنتشرة ، وهؤلاء العلماء قد قاموا بما أوجبه الله عليهم من البيان وعدم الكتمان ، وقد صدرت عن

دار الإفتاء المصرية هذه الفتاوى على مدى مائة سنة ، ونسوق أمثلة منها :

❋ صدرت فتوى فى سنة ١٣٢١هـ بعدم جواز قراءة السورة يوم الجمعة بالمسجد على وجه يشوش على المصلين .

❋ ما يذكر بعد الأذان أو قبله كله من المحدثات المبتدعة .

❋ فى سنة ١٩٤٠م صدرت فتوى بعدم جواز دفن الموتى فى المساجد !! ومع هذا فما زالت الصوفية تقدس ذلك !

❋ وفى سنة ١٩٤٤م صدرت فتوى هامة نصها : « النذر لأصحاب الأضرحة والأولياء والصالحين باطل بالإجماع !! لأنه نذر لمخلوق وهو غير جائز لأن النذر عبادة ، وهى لا تكون لمخلوق أبداً ، ولأن المنذور له ميت والميت لا يملك » .

وفى سنة ١٩١٧م صدرت فتوى بعدم جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن الكريم ويأثم الدافع والقارىء بأخذ الأجرة ، وجاء فى نفس الفتوى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم والأذان والإمامة للضرورة ؟

وفى سنة ١٩٤٢م صدرت فتوى جاء فيها أن الوقف على قراءة القرآن وعمل الموالد غير صحيح ، وأن عمل الموالد بالصفة التى عليها الآن لم يفعله السلف الصالح ولو كان ذلك من القرب لفعلوه !!

أقول : إذا كان علماء الأزهر قد انكروا ما يحدث من الموالد فى سنة ١٩٤٢م فماذا يكون حكمها فى سنة ١٩٩٣م وقد أضيف إليها من المنكرات والبدع على مدى خمسين عاماً ما يجعلها أشد تحريماً وضلالاً .

وفى سنة ١٩٢٦م صدرت فتوى تنص على أن زيارة القبور مندوب إليها دون مس ولا تقبيل ولا طواف !! وفى نفس الفتوى بيان حكم الموسيقى وهو الكراهة التحريمية أى التحريم ، ولم يستثن إلا ضرب الدف فى الأعراس ، والأعياد الدينية !!

الحقيقة الثالثة :

أن العلمانية المصرية تحارب الإسلام فى كل صوره وأشكاله !!! فكل ما ينتمى إلى الإسلام مرفوض عندهم !

وهذا هو سر المعركة الشرسة التى تقودها العلمانية المصرية ضد الأزهر فى الآونة الأخيرة .

وأخيراً نكرر القول بأن الأزهر ليس هو الصوفية ! فإلى الذين يشوهون صورة الأزهر من المنتسبين إلى التصوف أو العلمانية نقول لهؤلاء وهؤلاء :

إن شعب مصر المسلم لن يقع فى حبالكم ! وسوف يحميه الله من مكركم وكيدكم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

صفوت الشوادفى

أ . د / محمد بكر إسماعيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر

علوم القرآن أصولاً ومنهجاً

مقدمة وتمهيد

القرآن الكريم هو المعجزة العقلية الباهرة التى أيد الله بها خير خلقه ، وخاتم أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليه .

وهو خالد فى إعجازه لا يزيده التقدم العلمى إلا رسوخاً فى الإعجاز ، وهو حجة الله البالغة على خلقه ، تعبدهم بتلاوته ، وتدبره ، وفهمه ، والعمل به ، وأطلعهم من خلاله على بعض أسراره فى ملكه وملكوته .

وهو كتاب الهداية ومنهج الحياة ، بين الله فيه لعباده ما يحل لهم وما يحرم عليهم بأسلوب واضح مشرق لا عوج فيه ولا التواء .

فما من شيء يحتاجون إليه فى دينهم ودنياهم إلا شمله تشريعه ، ووسعه بيانه .

فكان بحق كتاباً جامعاً أفاض فى شرح الحقوق والواجبات إفاضة واسعة تضمنتها أحكام جامعة ، وقواعد كلية ، يندرج تحتها كل ما جدّ ويجدّ من شئون الحياة .

لهذا جمع المسلمون الأوائل كل قواهم ، وكرسوا جل حياتهم لخدمة هذا الكتاب العظيم ، ولم يدخروا جهداً فى حفظه وتدوينه وتفسيره ، واستنباط أحكامه ، والتنقيب عن لطائفه وأسراره ، والعمل به ، والسير على نهجه فى عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم ، فتركوا لنا تراثاً خالداً غصت به المكتبات فى مشارق الأرض ومغاربها .

وتتابع الغيث من بعدهم إلى يومنا هذا ، يفتح للباحثين فى كتاب الله تعالى أبواباً واسعة من العلم والمعرفة ، ويتيح لهم أن ينهلوا من معينه ما شاء الله

أن ينهلوا فى سهولة ويسر ، ولا سيما بعد أن تقدمت أدوات الطباعة ووسائل النشر .

وما على الباحثين إلا أن يشمروا عن ساعد الجد ويخترقوا أسوار التقليد إلى الآفاق الرحبة التى يفتحها لهم القرآن بعباراته وإشاراته ، فيستنبطوا منه ما ينفع أمتهم فى دينها ودنياها ، ويستلهموا منه الرشد فى حل المشكلات المعاصرة التى بلغت الغاية فى التعقيد والتعجيز .

وإنى أحاول أن أسهم بنصيب متواضع فى هذا المجال فأبصر الناس بالبحوث القرآنية التى كتبها جهابذة العلماء وأئمتهم على صفحات هذه المجلة المباركة ، لينهلوا منها ما ينفعهم فى فهم كتاب ربهم عز وجل وسنة نبيهم ﷺ ، وذلك بأسلوب واضح يناسب أهل العصر على اختلاف درجاتهم فى الثقافة والفهم ، بعيداً عن التعقيد والتكلف فى صناعة الألفاظ وتراكيب الجمل .

وأبدأ فى هذا المقال ببيان التعريف الجامع لعلوم القرآن حتى لا يدخل فيها ما ليس منها .

التعريف بعلوم القرآن :-

علوم القرآن مركب إضافى ، مؤلف من كلمتين يقتضينا منهج البحث التحليلى أن نعرّف كل كلمة على حدة أولاً ، ثم نبين معنى كلمة علوم مضافة إلى القرآن الكريم ، فنقول :-

[١] أما العلوم فجمع علم ، والعلم مصدر (علم - يعلم) وهو مرادف للفهم والمعرفة واليقين والجزم على الجملة ، وبينها فروق دقيقة تطلب من كتب فقه اللغة مثل كتاب (الفروق اللغوية) لأبى هلال العسكرى .

والعلم مصدر - كما قلنا - يصح إطلاقه على المفرد والجمع تقول : تلقيت العلم فى الجامع الأزهر تعنى : علم التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والصرف وغير ذلك من أنواع العلم .

وإن أريد الكثرة ، جمع على علوم ، ولهذا سميت المباحث القرآنية : (علوم القرآن) لكثرتها وتشعب مسائلها .

كما يقول الفقهاء فى كتبهم (باب البيع) فإن أرادوا الكثرة قالوا : (باب البيوع) .

ويطلق العلم فى لسان الشرع العام على معرفة الله تعالى وآياته ، وأفعاله فى عباده وخلقه .

ومعناه عند علماء التدوين : المعلومات المنضبطة بجهة واحدة ، أى موضوع معين .

فمسائل النحو مثلاً تسمى : علم النحو ، ومسائل الفقه تسمى : علم الفقه ، أو هو إدراك المسائل المنضبطة تحت موضوع

معين .

أو هو الملكة التى تحصل بها تلك المعارف .

والتعريف الأول هو الأولى بالقبول وهو الأشهر عند العلماء .

[٢] أما القرآن فى اللغة فهو مصدر (قرأ) ، يقال قرأ ، يقرأ ، قراءة وقرآناً قال تعالى فى سورة القيامة : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ .

ثم نقل من هذا المعنى المصدرى ، وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبى ﷺ ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله .

فالقرآن على هذا يكون بمعنى المقروء .

هذا ما اختاره أكثر العلماء استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق .

(أما القول بأنه وصف من القرء - بسكون الراء - بمعنى الجمع ، فهو قول ليس براجح ، وكذلك قول من قال إنه مشتق من قرنت الشىء بالشىء ، أو أنه مرتجل أى موضوع من أول الأمر عَلَماً على الكلام المعجز المنزل ، فكل ذلك - كما يقول الزرقانى - لا يظهر له وجه وجيه ، ولا يخلو توجيه بعضه من كُلفة)[1] هذا هو مفهوم لفظ (قرآن) فى اللغة .

وأما مفهومه فى اصطلاح علماء العقيدة والشريعة واللغة فهو منتزع من خصائصه ومقاصده الكبرى .

وأشهر تعريف له قولهم : القرآن كلام الله المعجز ، المنزل على محمد ﷺ ، المكتوب فى المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته . وبهذا عرفه أكثر أهل العلم .

[٣] وأما تعريف علوم القرآن بالمعنى الإضافى ، أى باعتبار إضافة العلوم إلى هذا الكتاب المنزل ، فهو عبارة عن طوائف المعارف المتصلة بالقرآن .

وهذا التعريف يشمل بعمومه جميع العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه ، وجميع العلوم التى تعين على فهم معانيه ومقاصده ، كالعلوم اللغوية والتاريخية وغيرها ، فكل ما يتصل بالقرآن من قريب أو بعيد داخل تحت هذا التعريف .

غير أن المشتغلين بدراسة القرآن الكريم - فيما يبدو لنا - يقتصرون فى بحوثهم على العلوم الوثيقة الصلة بالقرآن الكريم ، والتى تعينه على فهمه بطريق مباشر ، مثل

(١) انظر مناهل العرفان للزرقانى جـ ١ ص ٧ .

تلك البحوث التى تضمنها كتاب (البرهان) للزركشى ، وكتاب (الإتقان) للسيوطى وانفرد التفسير عن هذه العلوم بالتأليف والتصنيف مع أنه داخل فيها لمسيس الحاجة إليها أكثر من غيره عند جميع المكلفين بلا استثناء .

أما غيره من علوم القرآن فلا يكاد يحتاج إليه إلا المتخصصون فى دراسة كتاب الله تعالى ، على نحو يمكنهم من تفسيره للناس ، تفسيراً صحيحاً ، وفق هذه العلوم التى يعنون بدراستها .

وقد كانت علوم القرآن قبل عصر التدوين ، وبعده بزمن غير يسير متصلة بسائر العلوم الشرعية ، بل والعلوم العربية أيضاً ، ثم انفصلت عنها ، على نحو سنبينه فى مقال آخر – إن شاء الله تعالى – .

* الهمة العلية من استعد صاحبها للقاء الحبيب ، وقدم التقادم بين يدى الملتقى فاستبشر عند القدوم : ﴿ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

* تالله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تولى عنك الولى ، فلا تظن أن الشيطان ، غلب ولكن الحافظ أعرض .

* احذر نفسك فما أصابك بلاء قط إلا منها ، ولا تهادنها ، فوالله ما أكرمها من لم يهنها ، ولا أعزها من لم يذلها ولا جبرها من لم يكسرها ، ولا أراحها من لم يتعبها ، ولا أمنها من لم يخوفها ، ولا فرحها من لم يحزنها .

* سبحان الله ، ظاهرك متجمل بلباس التقوى ، وباطنك باطية لخمر الهوى ، فكلما طيبت الثوب فاحت رائحة المسكر من تحته ، فتباعد منك الصادقون وانحاز إليك الفاسقون .

* يدخل عليك لص الهوى وأنت فى زاوية التعبد فلا يرى منك طرداً له ، فلا زال بك حتى يخرجك من المسجد .

* أصدق فى الطلب وقد جاءتك المعونة .

* قال رجل لمعروف : علمنى المحبة ، فقال : المحبة لا تجىء بالتعليم .

هو الشوق مدلولاً على مقتل الفتى ... إذا لم يعد صباً يلقى حبيبه

* ليس العجب من قوله يحبونه ، إنما العجب من قوله يحبهم .

* ليس العجب من فقير مسكين يحب محسناً إليه ، إنما العجب من محسن يحب فقيراً مسكيناً .

فضيلة الشيخ
د . محمد بن محمد أبو شهبة

منزلة السُّنَّة من الدِّين

القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين ، والسُّنة هى الأصل الثانى ، ومنزلة السُّنة من القرآن أنها مبيِّنة وشارحة له تفصِّل مُجْمَله ، وتوضِّح مُشْكله ، وتقيِّد مطلقه ، وتخصِّص عَامَّهُ ، وتبسط ما فيه من إيجاز ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] وقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ . [الشورى : ٥٢ ، ٥٣]

وقد كان النبى صلوات الله وسلامه عليه يبين تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بهما ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه فسر الظلم فى قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] بالشرك ، وفسَّر الحساب اليسير بالعرض فى قوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ . [الانشقاق : ٧ - ٩] وأنه قال : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِى أُصَلِّى » رواه البخارى . وأنه قال فى حجة الوداع : « لِتَأْخُذُوا مناسككم فإنى لا أدرى لعلِّى لا أَحُجُّ بعد حجتى هذه » وفى رواية « خُذُوا عنِّى مناسِكَكُم » رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

وروى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عبادة بن الصامت فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ . [النساء : ١٥] أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « خُذُوا عنِّى ، خُذُوا عنِّى ، خُذُوا عنِّى قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ، البِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ

وتغريبُ عامٍ ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ والرَّجْمُ »[1].

مثل من بيان السنة للقرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ولكنه لم يبين عدد الصلوات ولا كيفيتها ولا أوقاتها ولا فرائضها من واجباتها من سننها فجاءت السنة المحمدية فبينت كل ذلك ، وكذلك لم يبين متى تجب الزكاة ؟ وأنصبتها ومقدار ما يخرج فيها وفى أى شيء تجب ؟ فجاءت السنة فَبَيَّنت كلَّ ذلك .

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ولم يبين ما هى السرقة ؟ وما النصاب الذى يحد فيه السارق ؟ وما المراد بالأيدى فبينت السنة كل ذلك .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ولم يبين الحد فجاءت السنة فبينته .

وقال الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾ ولم يبين لمن هذا الحكم "بينت السنة أن هذا الحكم للزانى غير المُحْصَن أما المحصن فحدُّه الرَّجْمُ .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ... ﴾ ولم يبين قصتهم وجنايتهم فجاءت السنة فبينت قصتهم غاية البيان ، إلى غير ذلك من المثل الكثيرة التى تفوق الحصر ، والتى لولا بيان السنة لها لاستعجم علينا القرآن وتعذَّر فهمه وتدبره ، وقد كان الصحابة ومن جاء بعدهم يعلمون هذه الحقيقة .

روى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل : « إنك رَجلٌ أحمَقُ أتجدُ الظهرَ فى كتاب الله أربعاً لا يُجْهَرُ فيها بالقراءة ، ثم عدَّد عليه الصلاةَ والزكاة ونحو هذا ، ثم قال : أتجده فى كتاب الله مُفَسّراً ؟ إنَّ كِتَابَ اللهِ أَبْهَمَ هذا وإنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُهُ » .

وروى الأوزاعى عن حسان بن عطية قال : كان الوحى ينزل على رسول الله ﷺ ، ويحضره « جبريل » بالسنة التى تفسر ذلك .

وعن مكحول قال : « القرآن أَحْوَجُ إلَى السُّنَّةِ من السنة إلى القُرْآنِ »

استقلال السنة بالتشريع :

وقد تستقل السنة بالتشريع أحياناً وذلك كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ،

(١) أخذ بظاهر الحديث بعض الفقهاء ، وذهب إلى نسخ التغريب فى البكر والجلد فى الثيب آخرون .

وتحريم سائر القرابات من الرضاعة - عدا ما نص عليه من القرآن - إلحاقاً لهن بالمحرمات من النسب ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وتحليل ميتة البحر ، والقضاء باليمين مع الشاهد إلى غير ذلك من الأحكام التى زادتها السنة عن الكتاب[1] .

حجية السنة :

وقد اتفق العلماء الذين يعتد بهم على حجية السنة ، سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال ، قال الإمام الشوكانى : « إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف فى ذلك إلا من لا حَظَّ له فى الإسلام »[2] .

وصدق « الشوكانى » فإنه لم يخالف فى الاحتجاج بالسنة إلا الخوارج والروافض ، فقد تمسكوا بظاهر القرآن وأهملوا السنن ، فضَلُّوا وأضَلُّوا ، وحادوا عن الصراط المستقيم .

وقد استفاض القرآن والسنة الصحيحة الثابتة بحجية كل ما ثبت عن الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . [آل عمران : ٣١] ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ . [النساء : ٥٩]

قال ميمون بن مهران : الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته .

وقال سبحانه : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ . [النساء : ٦٥] ، **وما قضى به النبى ﷺ يشمل ما كان بقرآن أو بسنة ، وقد دلت الآية على أنه لا يكفى فى قبول ما جاء فى القرآن والسنة الإذعان الظاهرى بل لا بد من الاطمئنان والرضا القلبى .**

وقال : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ . [النساء : ٨٠] ، **فقد جعل سبحانه وتعالى طاعة الرسول من طاعته ، وحذَّر من مخالفته فقال - عز شأنه - :** ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . [النور : ٦٣] ، **فلولا أن أمره حجةٌ ولازِمٌ لما توعد على مخالفته بالنار .**

(١) مقدمة تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٧ - ٣٩ .
(٢) إرشاد الفحول ص ٢٩ .

وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ .

[الأحزاب : ٢١]

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

[الحشر : ٧] فقد جعل سبحانه أمر رسوله واجب الاتباع له ، ونهيه واجب الانتهاء عنه .

وأما الأحاديث فكثيرة منها : ما رواه أبو داود[1] فى سننه عن المقداد بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : « أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، ألا يُوشك رجلٌ شَبْعَانٌ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يقول : عَلَيكُمْ بالقُرْآن فَمَا وَجَدتُمْ فيه مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ ، وما وجدتم فيه من حَرَامٍ فحرِّمُوه ، ألا لا يَحِلُّ لكم الحِمَارُ الأَهْلِيّ ، ولا كُلُّ ذِي نَابٍ من السباع ، ولا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إلا أن يستغنِى عَنْهَا صاحبُهَا ، ومن نَزَلَ بقومٍ فعليهم أن يَقْرُوهُ ، فَإِن لم يَقْرُوهُ فَعَلَيْهِ أن يُعَقِّبَهُمْ[2] بِمِثْلِ قِرَاهُ » قال الإمام الخطابى : قوله : « أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » يحتمل وجهين :

أحدهما : أن معناه أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو .

والثانى : أنه أوتى الكتاب وحياً يتلى ، وأوتى من البيان مثله أى أُذِنَ له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ، ويزيد عليه ويشرح ما فى الكتاب ، فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلوّ من القرآن » .

وقوله : « يوشكُ رجلٌ شبعانٌ ... » يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التى سنها مما ليس له من القرآن ذكر ، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تمثلوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التى قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا ، وأراد بقوله : « متكىء على أريكته » أنه من أصحاب التَّرَفُّهِ والدَّعَة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مَظَانِّهِ[3] .

وقد دل الحديث على معجزة للنبى - ﷺ - فقد ظهرت فئة من القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة وهى الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث ، وغرضهم هدم نصف الدين أو إن شئت فقل : تقويض الدين كله ، لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدى ذلك - ولا ريب - إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه .

---

(١) صحيح . رواه أحمد وأبو داود ، والدارمى بنحوه ، وله شواهد من حديث أبى هريرة وأبى رافع والعرباض بن سارية .

(٢) روى مشدداً ومخففاً من المعاقبة أى يأخذ من أموالهم قراه .

(٣) تفسير القرطبى ج١ ص٣٨ .

وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل : على الإسلام العَفَاءُ .

وفى حديث العرباض ابن سارية مرفوعاً : « عَلَيكُم بِسُنَّتِى وسنةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدين المَهْدِيِّين من بَعْدى عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ » رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح[1] .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما[2] أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال : « إنَّ الشَّيْطانَ قد يَئس أن يُعْبَدَ بأرضكم ، ولكن رضِى أن يُطاع فيمَا سِوَى ذلك مما تحقِرُون من أمْرِكم فاحذروا ، إنِّى تركتُ ما إن اعتَصَمْتُم به فلن تَضِلُّوا أَبَداً : كتابَ الله وسُنَّةَ نَبِيِّهِ » وروى مثله الإمام مالك فى الموطأ .

وهى صريحة فى أن السنة كالكتاب يجب الرجوع إليها فى استنباط الأحكام وقد أجمع الصحابة - رضوان الله عليهم - على الاحتجاج بالسنن والأحاديث والعمل بها ولو لم يكن لها أصل على الخصوص فى القرآن ولم نعلم أحداً خالف ذلك قط فكان الواحد منهم إذا عرض له أمر طلب حكمه فى كتاب الله ، فإن لم يجده طلبه فى السنة ، فإن لم يجده اجتهد فى حدود القرآن والسنة وأصول الشريعة .

وقد وضع لهم النبى ﷺ هذا الأساس القويم بإقراره لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فقد قال له : « بِمَ تَقْضِى إذا عَرَضَ لكَ قضاءٌ ؟ قال : بكتابِ الله . قال : فإن لَّمْ تَجِدْ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لَّمْ تَجِد قال : أَجْتَهِدُ رَأْيِى وَلَا آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ الله فى صَدْرَهُ وقال : الحمدُ لله الذى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله لِمَا يرضِى الله ورسُولَهُ »[3] .

وقد فهم الصحابة رجوع جميع ما جاءت به السنة إلى القرآن من قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : « لَعَنَ الله الواشِمَاتِ والمُسْتوشِمَاتِ ، والمُتَنَمِّصَاتِ والمُتَفَلِّجَاتِ للحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خلقَ الله فقالت أم يعقوب : ما هذا ؟ فقال عبد الله : وما لى لا ألعن من لعن رسول الله ، وفى كتاب الله قالت : والله لقد قرأت ما بين اللَّوحَين فما وجدته فقال : والله لئن كنت

(١) صحيح . أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد والدارمى وغيرهم .

(٢) حسن . فله شاهد من حديث أبى هريرة عند أحمد وغيره ، وانظر صحيح الترغيب (رقم ٣٦) ، والصحيحة (رقم ٤٧) .

(٣) منكر ضعيف . أخرجه الطيالسى وأحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم ، وانظر الضعيفة (رقم ٨٨١) .

قرأتيه لقد وجدتيه قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ » .

وهذه الآية تعتبر أصلاً لكل ما جاءت به السنة مما لم يرد له فى القرآن ذكر وعلى هذا الدرب والطريق الواضح من جاء بعد الصحابة من أئمة العلم والدين ، روى عن الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أنه كان جالساً فى المسجد الحرام يحدث الناس فقال : لا تسألونى عن شىء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله ، فقال رجل : ما تقول فى المُحْرِم إذا قتل الزنبور ؟ فقال : لا شىء عليه ، فقال الرجل : أين هذا من كتاب الله ؟ فقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ ثم ذكر إسناداً إلى سيدنا عمر أنه قال للمُحْرِم قتلُ الزّنبور .

وذكر ابن عبد البر فى كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد : أنه رأى مُحْرماً عليه ثيابه ، فقال : ائتنى بآية من كتاب الله تنزع ثيابى ، قال : فقرأ عليه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

حديث عرض السنة على القرآن مكذوب :

أما الحديث الذى يرويه القائلون بعدم استقلال السنة بالتشريع ، وهو : « إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه » فقد بين أئمة الحديث وصيارفته أنه موضوع مختلق على النبى - ﷺ - وضعته الزنادقة كى يصلوا إلى غرضهم الدنىء من إهمال الأحاديث . وقد عارض هذا الحديث بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له ، لأنا وجدنا فى كتاب الله ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ ووجدنا فيه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ ووجدنا فيه ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[1] .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يكذب هذا الحديث ويرده .

وقد حاول بعض المستشرقين وأتباعهم الذين صنعهم الاستعمار على يديه أن يحيوا ما اندرس من هذه الدعوة الخبيثة ، ولكن الله سبحانه قَيَّضَ لهؤلاء فى الحديث - كما قَيَّضَ لأسلافهم فى القديم - من وضع الحق فى نصابه ، ورد كيدهم فى نُحُورهم ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾ .

عناية الصحابة بالأحاديث والسنن :

ولمكانة السنة من الدين ، ومنزلتها من القرآن الكريم عُنِىَ الصحابة بالأحاديث النبوية عناية

(١) إرشاد الفحول ص ٢٩ .

فائقة ، وحرصوا عليها حرصهم على القرآن ، فحفظوها بلفظها أو بمعناها وفهموها ، وعرفوا مغازيها ومراميها بسليقتهم وفطرتهم العربية ، وبما كانوا يسمعونه من أقوال النبى ﷺ ، وما كانوا يشاهدون من أفعاله وأحواله ، وما كانوا يعلمونه من الظروف والملابسات التى قيلت فيها هذه الأحاديث ، وما كان يشكل عليهم منها ولا يدركون المراد منه يسألون عنه الرسول ﷺ .

وقد بلغ من حرصهم على سماع الوحى والسنن من رسول الله أنهم كانوا يتناوبون فى هذا السماع ، روى البخارى فى صحيحه عن عمر - رضى الله عنه - قال : « كُنتُ أنا وجارٌ لِى منَ الأنصار فى بَنِى أُمَيَّةَ بنِ زَيد ، وهى من عَوَالى المَدِينة ، وكُنا نَتَنَاوَبُ النُّزُول عَلَى رَسُولِ الله - ﷺ - ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوَحْى وغيره ، وإذَا نزلَ فعل مثلَ ذلك ... » الحديث .

وبذلك جمعوا بين خيرى الدين والدنيا ، فما شغلهم دينهم عن دنياهم ولا شغلتهم دنياهم عن دينهم .

وإذا علمنا أن القرآن والسنة استفاضا ببيان فضل العلم والعلماء ، وأن الصحابة كانوا يعلمون أن السنة هى الأصل الثانى للدين ، وأنهم كانوا يحبون رسول الله أكثر من حبهم لأنفسهم ، وأنهم كانوا يجدون فى الاستماع إليه لذة وروحاً ، وأنهم كانوا يعتقدون أنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وأنهم كانوا يجدون فيما يسمعونه منه غذاء الإيمان وزاد التقوى ، وأنه سبيل إلى الجنة .

إذا علمنا كل هذا أدركنا مبلغ حرص الصحابة على استماع السنن والأحاديث وأن ذلك أمر يكاد يكون من المسلمات

وكذلك عنوا بتبليغ السنن لأنهم يعلمون أنها دِينٌ واجبة البلاغ للناس كافة ، وكثيراً ما كان النبى - صلوات الله وسلامه عليه - يحضُّهم على الأداء لغيرهم بمثل قوله : « نضَّرَ الله امرأ سَمِعَ مقالتى فَوَعَاها فأدَّاها كما سَمِعَهَا فَرُبَّ مبلَّغٍ أوعَى من سَامِع » وفى رواية بلفظ « فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيرِ فَقِيهٍ ، ورُبَّ حامِلِ فِقهٍ إلى من هُوَ أفْقَه مِنْهُ » رواه الشافعى والبيهقى فى المدخل[1] .

وفى خطبته المشهورة فى حجة الوداع قال : « لِيُبَلِّغ الشاهِدُ الغائبَ ، فَإنَّ الشاهدَ عسى أن يُبَلِّغ من هو أوعى مِنْهُ » رواه البخارى فى صحيحه .

(١) صحيح . أخرجه أحمد وابن ماجه عن أنس ، وأحمد والترمذى وابن حبان عن ابن مسعود ، والترمذى وابن حبان عن زيد بن ثابت وغيرهم .

تابع أسس ودعائم الحكم فى الدولة الإسلامية

تكلمنا عن الشرعية الإسلامية كأصل وأساس يقوم عليه نظام الحكم فى الدولة الإسلامية .

ومن أهم الأسس التى تتفرع عن هذا الأصل ، كفالة الشريعة لحقوق الأفراد وحرياتهم ، وإقرار العدل وتحقيق المساواة .

ثانيا : كفالة الحقوق والحريات

وإذا كانت الأنظمة المتقدمة فى عالم اليوم قد اهتمت بهذا الأساس ، بدءاً من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان وانتهاءاً بإنشاء المنظمات ، بل والمحاكم التى تعنى بحقوق الإنسان ، فإن الشريعة الإسلامية ومنذ أربعة عشر قرناً ، قد بلغت فى ذلك إلى الحد الذى اعتبرت معه هذه الحقوق بمثابة ضرورات وواجبات لا ينبغى التفريط فيها بحال .

وإذا كانت دول العالم الثالث ، ومنها بلاد المسلمين تعانى من الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان ، فإن ذلك يرجع إلى بعد هذه البلاد عن التطبيق الأمثل لشريعة الله عز وجل .

(١) المساواة :

لقد قررت الشريعة الإسلامية المساواة بين بنى الإنسان ، فلم تعترف بفروق مصطنعة على أساس الجنس أو اللون أو اللغة ، فالناس فى أصل الخلقة سواء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً ﴾ .

[النساء : ١]

إن الأساس الذى يتفاضل به الناس عند خالقهم هو التقوى وهو أمر قلبى لا يعرف حقيقته إلا رب العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

بقلم
د . جمال المراغبى
عضو لجنة الفتوى

عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .
[الحجرات : ١٣]

وفى حجة الوداع يقول النبى ﷺ : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى ، ولا لعجمى فضل على عربى ، ولا لأحمر فضل على أبيض ، ولا لأبيض فضل على أحمر إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد »[1] .

ويربى الإسلام فى الإنسان هذا المبدأ وينميه ، ويحوله إلى واقع عملى ، ففى الصلاة يصطف الناس خلف إمامهم بلا تمايز ، وفى الصوم يمتنع الجميع عن الطعام والشراب طوال النهار ، ويجتمعون عليه فى وقت واحد ، وفى الحج يلتقى المسلمون وقد نزعوا ثيابهم وزينتهم ، ولبسوا جميعاً ثياباً أشبه ما تكون بأكفان الموتى ، فلا تمايز بينهم وكلهم فى هذا الموقف سواء .

❋ المساواة أمام القانون : —

والمساواة أمام أحكام الشريعة أصل من أصول الإسلام يتساوى فيه الحاكم والمحكوم ، والشريف والوضيع . والنبى ﷺ يقول : « إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[2] .

وتسوى الشريعة بين الولاة والرعية ، وقد كان عمر يحذر ولاته من أن تأخذهم نشوة السلطة فتنسيهم هذا الأصل وكان يخطب الناس فيقول : أيها الناس إنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فُعل به غير ذلك فليقم ، من ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علىّ ، ليرفعها إلىّ حتى أقصه منه ، فيقول أحد الولاة :

(١) أحمد ٥/٤٤١ - ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد جـ٣ ص ٢٦٩ . صحيح

(٢) البخارى - كتاب الحد د - حديث رقم ٦٧٨٧ .

أرأيت إن أدب أميرٌ رجلاً من رعيته ، أتقصه منه ؟

فيقول عمر : وما لى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه[٣] .

❋ المساواة أمام القضاء : -

والمساواة أمام القضاء من المظاهر التى لم تعرفها كثير من دول العالم على النحو الذى عرفه المسلمون الأوائل حين التزموا شريعة الله ، وقد تخاصم أمير المؤمنين علىّ مع رجل من أهل الذمة إلى شريح القاضى ، فقضى للذمى على أمير المؤمنين ، وهذا فى زمن فتنة وحرب أهلية تبيح للحاكم فرض حالة الطوارئ وقوانين الضرورة فى أرقى دول العالم اليوم[٤] .

❋ المساواة بين المسلم والذمى : -

وتقرر الشريعة الإسلامية المساواة بين المسلم والذمى إلا فيما يتعلق بأمر العقيدة والعبادة .

قال على بن أبي طالب : إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا .

والأصل الفقهى أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

❋ المساواة بين الرجل والمرأة : -

وتسوى الشريعة بين الرجل والمرأة ، ولكنها لا تغفل أن لكل منهما دوره ووظيفته ، فالمرأة مكلفة بكل أركان الإيمان والإسلام ، وبكل أحكام الشرع وآدابه وأخلاقه إلا ما استثنى كترك الصلاة والصوم حال الحيض ، وعدم وجوب الجهاد على المرأة ، وكذلك أحكام العدة والنفقة وغير ذلك .

والنظام الإسلامى يجعل للمرأة وظيفتها كما أن للرجل وظيفته ولكن الوظيفة الرئيسية للمرأة تتعلق ببيتها وأولادها ، وليس معنى هذا أن عمل المرأة خارج البيت حرام ، فللمرأة أن تعمل بشرط مراعاة الآداب والأخلاق والضوابط الشرعية فى تعاملها مع غير محارمها ، وليس العمل خارج البيت بضرورة بالنسبة للمرأة لما لها من حق النفقة والكفالة على الرجل ، ولما يؤدى من نتائج سلبية سيئة تنعكس على الأسرة وعلى المجتمع .

والإسلام يصون المرأة عن كل ما يؤذيها ويشينها ، ولهذا فقد منع النبى ﷺ المرأة من كل عمل يؤدى إلى تبذلها وينافى ما يجب لها من صيانة وستر ، فقال :

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى - المجلد الثالث - القسم الأول ص ٢٠١ وإسناده صحيح .

(٤) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٥ - وتاريخ الخلفاء ص ١٧٢ .

« لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »[٥].

وأجمع أهل العلم على أن المرأة لا تلى منصب الخلافة والرئاسة وذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز توليها القضاء.

(٢) العدالة : -

والعدالة من الأسس التى عليها عمار الكون وصلاح العباد، لذا حث عليها الإسلام فى شتى المواطن حتى مع العدو، وفى زمن الفتنة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾.

[النساء : ٥٨]

﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ﴾.

[الحجرات : ٩]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.

[المائدة: ٨]

والنبى ﷺ يرسى دعائم العدل قولاً وعملاً « والمقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا »[٦].

« وإن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل »[٧].

وحين دخل عبد الله بن رواحة على يهود خيبر ليخرص عليهم ثمارهم، عرضوا عليه الرشوة، فقال لهم : لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى، ولأنتم أبغض إلى من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملنى حبى إياه وبغضى لكم على أن لا أعدل فيكم. قالوا : بهذا قامت السماوات والأرض[٨].

وتقوم فلسفة الإسلام على أن فساد الرعية لا ينصلح إلا بالعدل، وشريعة الله تعالى هى العدل المطلق، والإمام العادل هو الذى يتبع أمر الله تعالى بوضع كل شىء فى موضعه من غير إفراط ولا تفريط.

شكى بعض الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز سوء حال رعيته، وسأله : آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ؟ فكتب إليه عمر : خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

---

(٥) البخارى ك المغازى ح رقم ٤٤٢٥، وشرح السنة جـ١٠ ص ٧٦ - ٧٧.

(٦) مسلم ك الإمارة ح رقم ١٨٢٧، شرح السنة جـ١٠ ص ٦٣.

(٧) ضعيف : الترمذى ك الأحكام ١٣٢٩ وشرح السنة ج ١٠ ص ٦٥ وفى سنده عطية العوفى وهو ضعيف.

(٨) أبو داود ح رقم ٣٤١٠. وابن ماجه ح رقم ١٨٢٠، وإسناده حسن.

يقول الوالى : ففعلت ، فصارت من أصلح البلاد وأقلها سرقة[٩].

والعدالة فى الإسلام تعم العدل الاجتماعى والتكافل الاجتماعى ولهذا جعل الله تعالى فريضة الزكاة حقاً للفقراء ولبنة فى بناء العدل الاجتماعى ، حتى أن النبى ﷺ يجعل بيت المال - خزانة الدولة - وارثاً لمن لا وارث له وعائلاً لكل فقير أو ضعيف .

« من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ضياعاً فإلىّ وعلىّ »[١٠] حتى إن بيت المال ليقوم بسداد ديون المدينين ، وتجهيز الفنادق لاستضافة المسافرين فى عهد عمر بن عبد العزيز[١١] .

(٣) كفالة الحقوق والحريات : -

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ .

[الإسراء : ٧٠]

ولا شك أن الحرية والمساواة هى أعظم تكريم لهذا الإنسان ولقد جعل الله تعالى حرية الإرادة مناطاً للتكليف ، فمن سُلبت إرادته سقط عنه التكليف وأصبح عالة على غيره .

وقد كفل الشرع للإنسان حريته كاملة ، ولكنه ضبطها بمجموعة من الضوابط حتى لا تصطدم حريات الأفراد بعضهم ببعض ، ولا يطغى بعضهم على بعض ويستعبد بعضهم بعضاً وحتى لا يسير الإنسان وراء شهواته ونزواته فتنحط ذاته ويفقد أساس كرامته وتفضيله على سائر المخلوقات .

الحرية المدنية : -

وهى كون الشخص أهلاً لإبرام العقود والتصرفات ، وهى ما تعرف بالأهلية ، أهلية الوجوب وأهلية الأداء .

أما أهلية الوجوب وهى التى تجعل الشخص صالحاً للتملك فقد قررها الشرع لكل إنسان بغير قيد ، حتى الجنين فى بطن أمه جعل له نوعاً من هذه الأهلية .

أما أهلية الأداء ، وهى كون الشخص أهلاً للتصرف فى ماله فهى مكفولة لكل أحد ، إلا من ساء تصرفه فكان وبالاً على نفسه وعلى المجتمع كالسفيه والمجنون فقد قرر الشرع ضوابط لحمايته ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ... ﴾ الآية

[النساء : ٥] .

ولا يفرق الشرع بين الناس على أساس الدين أو الجنس ، بل المسلم وغيره سواء ، والرجل والمرأة فى ذلك سواء .

الحرية الدينية : -

يكفل الشرع الإسلامى حرية الاعتقاد ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾. [البقرة: ٢٥٦]

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ

---

(٩) السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٢١ .

(١٠) متفق عليه .

(١١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى جـ٦ ص ٥٦٧ .

جَمِيعاً ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[يونس : ٩٩]

فالإسلام لا يعرف الإكراه ولا يعترف به ، بل يرفع معه التكليف ، والدعوة إلى الله لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولكن حين يقوم كبراء الناس ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا من وصول الدعوة إلى غيرهم فهنا يتعين على المسلمين جهادهم ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ .

[التوبة : ١٢]

لقد راسل النبى ﷺ الملوك ودعاهم إلى الإسلام فلم يستجب أكثرهم ، أما من استجاب منهم فلم يطلب منه أن يجبر الناس على دخول الإسلام ، بل كل المطلوب منه أن يترك الإسلام كعقيدة يتحاور مع غيره من العقائد ، والغلبة دائماً للحق ، وأما من أعرض وأبى فلم يقاتل إلا حين منع الدعوة وصد عن سبيل الله .

وبهذا الفهم نجد أن المسلمين الأوائل لم يفكروا فى لحظة أن يفتحوا بلاد الحبشة كما فتحوا بلاد الفرس والروم رغم أن سكان الحبشة لم يدخلوا جميعاً فى الإسلام ، وكذلك اليمن ، وذلك لأن طريق الدعوة مفتوح ، ولهذا كانت وصية النبى ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن « إنك تأتى قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فإن هم أطاعوا لذلك . وفى رواية - فإذا عرفوا الله - فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ... الحديث »[١٢] .

ودلالة الحديث واضحة ، فإن هم أطاعوا ، أما إذا لم يطيعوا فالأصل الثابت ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ .

ولو كان الإكراه جائزاً أو معمولاً به ، لما وجدنا لغير المسلمين وجود فى بلاد المسلمين ، فالواقع خير شاهد على نفى الإكراه وقد كان لعمر بن الخطاب غلاماً نصرانياً ، فكان عمر يعرض عليه الإسلام فيأبى ، فيقول عمر « لا إكراه فى الدين » .

وليس معنى الحرية هنا أن يتمرد المسلم على دينه وشريعته ولهذا جعل الإسلام للارتداد حداً شرعياً « من بدل دينه فاقتلوه »[١٣] .

الحرية الفكرية : -

الإسلام دين يحترم العقل ويدعو إلى التأمل والتدبر ، ويحذر من عاقبة التقليد الأعمى .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ . [ق : ٦]

(١٢) متفق عليه . (١٣) متفق عليه .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٧٠]

وحرية الفكر مكفولة ما لم تتصادم مع نصوص الشرع ، لأن فى ذلك تطاول عقلى وقول على الله بغير علم .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ .

[الإسراء : ٣٦]

وفى المناظرات الفقهية التى تزخر بها كتب الفقه والتاريخ خير شاهد على مدى تمتع الأفراد بحرية الفكر والرأى والتعبير ، وإذا كانت بعض فترات التاريخ الإسلامى لا تشهد لذلك ، فالعيب ليس فى شريعة الله بل فى بعد المسلمين عن هذه الشريعة .

أما عن الحرية السياسية وحق الفرد فى المشاركة فى الأمور العامة فسوف نتناوله تفصيلاً فى الحديث عن الشورى والمناصحة .

وإلى لقاء آخر

[redacted]

• ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة طوبى ، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد . انشغل به فى الحياة يكفيك ما بعد الموت .

• يا منفقاً بضاعة العمر فى مخالفة حبيبه والبعد منه ، ليس فى أعدائك أضر عليك منك .

ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال الشاعر :

يا نفس إنى قائل فاسمعى مقالة من مشفق ناصح
لا يصحب الإنسان فى قبره غير التقى والعمل الصالح

قال القرطبى فى تفسير الآية ١٨٩ :

إذا رئى الهلال كبيراً فقال علماؤنا : لا يعوَّل على كبره ولا على صغره وإنما هو ابن ليلته ، روى مسلم عن أبى البخترى قال : خرجنا للعمرة فلما نزلنا ببطن نخلة قال : تراءينا الهلال ، فقال بعض القوم : هو ابن ثلاث ، وقال بعض القوم : هو ابن ليلتين . قال : فلقينا ابن عباس فقلنا : إنا رأينا الهلال ، فقال بعض القوم : هو ابن ثلاث ، وقال بعض القوم : هو ابن ليلتين فقال : أى ليلة رأيتموه ؟ قال فقلنا : ليلة كذا وكذا قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله مده للرؤية » فهو لليلة رأيتموه .

أسئلة القراء عن الأحاديث

إعداد
الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف

يسأل فتحى رمضان السيد - كمشيش - تلا - منوفية ، عن حديث فى منهج الصف الثالث الثانوى بكتاب التربية الإسلامية صـ ٦٨ تحت عنوان الحياء ، وهو : عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت » .

وهذا حديث صحيح في أعلى مراتب الصحة ، فقد رواه الإمام أحمد في « مسنده » (١٢١/٤ ، ١٢٢ - ٢٧٣/٥) والبخارى فى « صحيحه » (٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤ ، ٦١٢٠) وفى « الأدب المفرد » له (٥٩٧ ، ١٣١٦) وأبو داود (٥٥٢/٢) وابن ماجه (٤١٨٣) وغيرهم من طرق عن منصور (وهو ابن المعتمر السلمى) قال : سمعت ربعى بن حراش يحدث عن أبى مسعود به . وهو - باللفظ المذكور - فى بعض الروايات . وفى بعضها - وهى جميع روايات البخارى - : « إذا لم تستحيى » . ورُوِىَ من طريق مسروق عن أبى مسعود ، ورُوِى أيضاً من طريق ربعى عن حذيفة - بدلاً من (أبى مسعود) . وفى بعض ألفاظه : « فافعل ما شئت » وللمتن روايات أخرى لا فائدة كبيرة من إيرادها ، فهذا أصح ألفاظه . والله أعلى وأعلم .

ويسأل عادل رضوان أبو زيد السيد - سوهاج - جرجا - قرية يعقوب ، عن حديث قرأه فى كتاب « بر الوالدين » للشيخ كشك حفظه الله ، عن أنس رضى الله عنه رفعه إلى النبى ﷺ أن رجلاً قال ليعقوب عليه السلام : ما الذى أذهب بصرك وحنى ظهرك ؟ قال : أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف : وأما الذى حنى ظهرى فالحزن على أخيه بنيامين . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : أتشكوا الله عز وجل ؟ قال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللهِ ﴾ الحديث بطوله ، وفيه : فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه : من كان صائماً فليحضر طعام يعقوب ، وإذا أصبح ينادى مناديه : من كان مفطر

(كـــذا ، والصواب . مفطراً) ليفطر على طعام يعقوب » .

فهذا حديث منكر .

واللفظ المذكور أشبه ما يكون برواية ابن أبى عمر العدنى فى « مسنده » كما فى « المطـالب العاليـة » (٣٤٦٣) ، وروايـة الأصبهانى فى « الترغيب والترهيب » له كما فى « ترغـيب المنـذرى » (٥٧٣/٣ - ٥٧٤ - بتعليق الشيخ هراس رحمه الله) . ورواه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » (يوسف : ٦٤١) والحاكم فى « المستدرك » (٣٤٨/٢) والبيهقى فى « الشعب » (٣٤٠٣) من طرق عن يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية عن حفص بن عمر بن أبى الزبير - وفى رواية : ابن الزبير عن أنس مرفوعاً بنحوه ، وطرَفهُ عندهم : « كان ليعقوب النبى عليه السلام أخ مواخياً فى الله ، فقال ذات يوم : يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك ، ومـا الـذى قـوى ظهـرك ... » الحديث بنحوه . وحفص بن عمر ابن أبى الزبير لايُدرى من هو ، ولا يُعلم سماعه من أنس أيضاً . وقال الحاكم : « هكذا فى سماعى بخط يدى (فى الأصل : يد) : حفص بن عمر بن الزبير ، وأظن الزبير وهماً من الراوى ، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى ابن أخى أنس بن مالك ، فإن كان كـذلك فـالحديث صحيح » . ولم يتعقبه الذهبى .

وأما محقق « تفسير ابن أبى حاتم » ، فزعم أنه (حفص بن عبيد الله بن أنس) قال : « وهو تابعى صدوق أخرج له الجماعة إلا أبا داود » . وبناءً عليه قال : « درجة الأثـر : إسناده حسن » ! وقال ابن كـثير فى « تـفسيره » (٤٨٨/٢ - حلب) : « وهذا حديث غريب فيه نكارة » . وهو كما قال ، رحمه الله .

وقال الشيخ هراس - تعليقاً على عزو المنذرى الحديث إلى الحاكم والبيهقي والأصبهانى : « فهلا استحيا هؤلاء من رواية مثل هذا الهراء الذى لا يعقل أن ينطق النبى ﷺ - كذا - منه بحرف ولكن القوم مولعون بالرواية دون أن يتدبروا ما يـروون » ، وقال - تعليقاً على كلام الحاكم - : « مهما جهد الحاكم أو غيره فى تصحيح هذا الحديث فهو إن شاء الله غير صحيح وقد قال الذهبى عن حفص بن عمر ابن أبى الزبير : ولا يُعرف من ذا » . وانظر تعليقه على فقرات المتن ، فإنه نفيس جداً . ومن أوجه الخلاف فى إسناد هذا الحديث أيضاً : أن إسحاق بن راهويه رحمه الله رواه فى « تفسيره » وعنه الحاكم ، من طريق زاخر بن

سليمان - وهو ضعيف - عن ابن أبي غنية عن أنس - مرسلاً - بإسقاط حفص هذا. وجاء من وجه واهٍ عن زاخر به، فقال: «عن رجل عن أنس» ورواه الطبراني في «الصغير» (٨٥٧) و «الأوسط» كما في «مجمع البحرين» (٣٣٤١) عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري (وتحرف في الصغير إلى: المصري) حدثنا وهب ابن بقية، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حصين بن عمر (وتحرف في الصغير إلى: عمرو) الأحمسي، عن أبي الزبير: عن أنس به نحوه. والباهلي هذا رماه ابن عدي بوضع الحديث وسرقته، فقوله هنا (حصين بن عمر عن أبي الزبير) بدلاً من (حفص بن عمر بن أبي الزبير) من تعمده أو تخبُّطه. وبه وحده أعله الهيثمي في «المجمع» (٤/٧)، مع أن هذا الإسناد فيه حصين بن عمر الأحمسي، وهو متروك كذبه الإمام أحمد وابن خراش، ورماه ابن حبان برواية الموضوعات عن الأثبات.

وأبو الزبير لا تُعلم له رواية عن أنس رضي الله عنه. فالله أعلم.

ويسأل محمد السيد جلهوم - محافظة كفر الشيخ - مركز سيدي سالم - قرية دمرو الحدادي عن حديث يتردد في بلدته نصه: «من نكح يده فقد نكح أمه، ومن نكح أمه حرمت عليه الجنة».

فهذا حديث باطل لا أصل له عن النبي ﷺ، بل لم أجده بهذا اللفظ عن أحد من السلف الصالح.

ومثله حديث: «يجيء ناكح يده يوم القيامة، ويده حُبلى من الزنا». وقد رُوي معناه عن أنس رضي الله عنه، ولا يصح إسناده.

ومثله حديث: «ناكح اليد ملعون» كما في «كشف الخفاء» (٢٨٣٨). وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه - لما سئل عن هذا الأمر - أنه قال: «إن نكاح الأمة خير منه، وهو خير من الزنا».

وليس هذا تجويزاً له، فإن نكاح الأمة والزنا كلاهما حرام لا يجوز. ورُوي عنه إباحته بإسناد مظلم لا يصح.

وصح عن ابن عمر أنه سئل عنه، فقال: «ذلك نائك نفسه»!

وقد استدل الإمامان مالك والشافعي رحمهما الله على حرمة هذا الفعل بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي ما زاد على الأزواج وملك اليمين. وعند الحنفية يجوز عند التحقق من الوقوع في الفاحشة، ويدل له قول ابن عباس رضي الله عنهما: «وهو خير من الزنا»..

وهناك أدلة أخرى من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ تراها فى كتاب أبى الفيض الغمارى سامحه الله « الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء »، وهو من جياد تواليفه، وإلا فالرجل طُرُقِيٌّ جَلد.

ولعلى أتعرض لبعض أحاديث الباب فى أقرب فرصة تسنح لى، والله المستعان.

ويسأل محمد السيد عبد الرازق - بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة. من الشرقية - مركز الحسينية - بحر البقر - عن حديث سمعه من الشيخ الشعراوى - حفظه الله - ونصه: « كنت أنا وأبو بكر في الجاهلية كفرسى رهان فسبقته إلى النبوة فاتبعنى، ولو سبقنى لاتبعته ».

وهل ظاهره - بفرض صحته - يشير إلى أن النبوة اكتساب ؟

والجواب: جاء فى خاتمة « كشف الخفاء » (٥٨٣/٢): « وباب فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث: « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة، وحديث: ماصب الله فى صدرى شيئاً إلا وصببته فى صدر أبى بكر، وحديث: كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبّل ثنيية أبى بكر، وحديث: أنا وأبو بكر كفرسى رهان، وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبى بكر، وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل ». وقد أجاب أحد الكرام عن الشق الثانى من السؤال، فكتب فى نفس الورقة بخط أحمر: « النبوة منحة إلهية »، فجزاه الله خيراً.

ويسأل محمد على محمود من ولاد إلياس - بصدفا عن حديث: « من احتلم بيده جاءت يوم القيامة حبلى » فما جزاؤه من يحتلم بيده وهل حرام (هكذا السؤال بعد تصويب بعض ألفاظه).

الحديث لا أصل له عن النبى ﷺ كما قال أبو الفيض الغمارى فى « الاستقصاء » - وسبقت الإشارة إليه - هذا والصواب « من نكح يده » أو « ناكح يده » فهذا الفعل يسمى: « نكاح اليد » و « الاستمناء » و « الخضخضة » و « جلد عُميرة » و « العبث بالذكر » أما الاحتلام، فيكون في المنام، ولا مدخل للإنسان فيه، وتقدم أن الحديث مروى عن أنس، ولا يصح عنه لجهالة بعض رواته، لكن الحرمة ثابتة من أدلة أخرى كما بينتُ والله أعلم.

ويسأل سعد شحاته رسلان - كفر الحاجة - مركز إيتاى البارود - محافظة البحيرة عن حديث بدأه بقوله « قال النبى

ﷺ » وختمه بقوله : « صدق رسول الله ﷺ » وقع فى كتاب (الرحمة فى الطب والحكمة) لجلال الدين السيوطى ، نصه : « خلق الإنسان من أربعة أشياء : من الماء والطين والنار والريح . أما إذا كثر من الماء يكون حافظاً أو عالماً أو فقيهاً أو كريماً ، وأما إذا كثر من الطين يكون سفاكاً خبيثاً فى الدنيا والآخرة ، وأما إذا كثر من النار يكون عواناً (كذا) أو ظالماً ، وأما إذا كثر من الريح يكون كذاباً » .

فهذا كلام باطل لا أصل له عن النبى ﷺ ، بل يتنزه عن التفوه به آحاد العقلاء ، وهو مخالف مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة المتعلقة بخلق الإنسان والجان كما لا يخفى .

أما الكتاب المذكور فهو منسوب إلى السيوطى بالباطل ، ومدسوس عليه . وفيه بعض الأمور التى تقارب السحر والدجل ، مما يتنزه عنه آحاد العلماء بل الأتقياء والصالحين . وعليه ، فلا يحل التشاغل به . والله المستعان .

ويسأل خالد مفضل عبد الفضيل - المنيا - ملوى - دبى عن مدى صدق الأحاديث والأخبار الموجودة فى كل من :

(١) كتاب الداء والدواء « الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى » .

(٢) كتاب حياة الصحابة .

(٣) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح .

والجواب : أن الكتب المذكورة فيها الصحيح والحسن ، وفيها الضعيف بمراتبه ، إذ لم يلتزم ابن القيم والكاندهلوى رحمهما الله الاقتصار على ما صح فحسب . فما كان منها فى « الصحيحين » أو بما اتفق العلماء على تصحيحه فهذا يُعتمد بلا تردد - باستثناء بعض الأحرف اليسيرة المذكورة فى مظانها . أما سائر الأحاديث فينبغى للتحقق من ثبوتها من الرجوع إلى من يوثق بعلمه واختصاصه فى هذا المجال : أو البحث عما تم تحقيقه منها من قبل أهل الاختصاص . وهناك كتب أخرى ترتفع فيها نسبة الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتى لا أصل لها كـ « إحياء علوم الدين » و « تنبيه الغافلين » وأبى الليث السمرقندى و « والتذكرة » للقرطبى و « من وصايا الرسول ﷺ » للشيخ طه العفيفى ، وغيرها . فهذه ينبغي أن يراعى فيها ما تقدم بصورة أكبر . والله أعلى وأعلم .

* المحب يهرب إلى العزلة والخلوة بمحبوبة الأنس بذكره كهرب الحوت إلى الماء والطفل إلى أمه .

وأخرج من بين البيوت لعلنى ... أحدث عنك القلب بالسر خالياً

حكم الرشوة في الشريعة الإسلامية

تعريف الرشوة في اللغة : -

ارتشى : أخذ رشوة ويقال ارتشى منه رشوة أخذها ، ويقال استرشى : طلب رشوة ، ويقال استرشى فى حكمه : طلب الرشوة عليه[1]

تعريف الرشوة فى الاصطلاح :

هى : ما يعطى لقضاء مصلحة أو ما يعطى لإحقاق باطل أو إبطال حق[2]

حكم الرشوة فى الشريعة الإسلامية : -

الرشوة حرام بالإجماع سواء كانت للقاضى أو للعامل على الصدقة أو لغيرها[3]

دليل حرمة الرشوة من الكتاب والسنة : -

من الكتاب :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوْا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4]

٢ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنِ آمَنُوْا لَا تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ إِلَّا أن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ .. ﴾[5]

٣ - وقوله تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[6]

جهة الدلالة من الآيات السابقة :

الآية الأولى قال الفخر الرازى : ﴿ وَتُدْلُوْا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ : أى لا ترشوها إليهم لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالباطل[7]

والآية الثانية : أن الباطل اسم لكل ما لا يحل

---

(١) المعجم الوسيط ص ٣٦٠ ، المعجم الوجيز ص ٢٦٦ .
(٢) المرجعان السابقان .
(٣) سبل السلام للإمام الصنعانى جـ٤ ص١٢٤ ط الحلبى .
(٤) البقرة الآية ١٨٨ .
(٥) النساء الآية ٢٩ .
(٦) المائدة الآية ٤٢ .
(٧) التفسير الكبير جـ٥

بقلم
أ . رمضان سعيد جاب الله
ليسانس شريعة إسلامية

فى الشرع كالزنا والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وجحد الحق[٨]

وقال القرطبى : بالباطل : أى بغير حق ، ثم قال : وأكل المال بالباطل بغير عوض ولا هبة باطل بالإجماع[٩]

جهة الدلالة من الآية الثالثة :

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ قال الحسن وسعيد بن جبير : السحت هو الرشوة[١]

دليل حرمة الرشوة من السنة المطهرة :

١ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى في الحكم » رواه الأربعة وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان وزاد أحمد « والرائش »[٢]

٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى والرائش » ولم يذكر فيه لفظ فى الحكم رواه الأربعة إلا النسائى[٣]

جهة الدلالة من الحديث : أن الرشوة موجبة للعن وكل موجب للعن حرام فالرشوة حرام وهذا بإجماع العلماء .

والراشى هو من يعطى الذى يعينه على الباطل .

والمرتشى هو الآخذ للرشوة .

والرائش هو الذى يمشى بينهما وهو السفير بين الدافع والآخذ وإن لم يأخذ على سفارته أجراً فإن أخذ فهو أبلغ فى الحرمة .

٣ - روى عن النبى ﷺ : « هدايا الأمراء غلول » رواه أحمد

٤ - وروى أبو داود أن النبى ﷺ قال : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »[٤]

٥ - وعن أبى حميد

(٨) التفسير الكبير جـ٩ ص ١٧٣ ط دار الغد العربى .

(٩) القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ١٨١٥ .

(١) الرشوة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مجلة الأزهر عدد شهر ربيع الأول ١٤١٣هـ .

(٢) صحيح بدون الزيادة وزيادة أحمد منكرة وانظر الضعيفة ١٢٣٥ .

(٣) صحيح وكذلك الزيادة انظر الإرواء ٢٦٢٠ .

(٤) صحيح . وأخرجه الحاكم وغيره انظر غاية المرام ٤٦٠ .

الساعدى أن النبى ﷺ قال : « هدايا العمال سحت » رواه الإمام أحمد[٥]

جهة الدلالة من الحديثين الثالث والرابع :

معنى الغلول الخيانة يقال أغلَّ الرجل : خان فى المغنم وغيره وفى التنزيل العزيز ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَة » وهدايا العمال أو الولاة غلول أى سرقة وخيانة ويجب ردها إلى بيت المال ، ودليل ذلك ما روى عن عروة بن الزبير عن أبى حميد الساعدى قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال : « هذا لكم وهذا أهدى إلىَّ فقام النبى ﷺ على المنبر فقال : « ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلىَّ ؟ فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا ؟ فوالذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منهما شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ثم قال : اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ؟ »[١]

أقسام الرشوة : -

للرشوة أربعة أقسام عند الحنفية :

١ - الرشوة على تقليد القضاء والإمارة وهى حرام على الآخذ والمعطى

٢ - الرشوة إلى القاضى ليحكم لدافع الرشوة وهى حرام أيضاً على الآخذ والمعطى ولو كان القضاء بحق لأنه واجب عليه فالرشوة حرام إلى القاضى بالإجماع[٢]

وقال الصنعانى : إن كانت الرشوة ليحكم القاضى له بغير حق فهى حرام على الآخذ والمعطى وإن كانت الرشوة ليحكم على غريمه فهى حرام على القاضى دون المعطى لأنها لاستيفاء حقه وقيل تحرم على المعطى لأنها توقع الحاكم - القاضى - فى الإثم[٣]

وذهب جمهور الفقهاء أن القاضى إذا تغيرت حالته بفسق[٤] ومن ذلك قبول الرشوة يجب عزله وبطل كل حكم يحكم به بعد ذلك .

---

(٥) صحيح فى سنده ضعف وله طريق وشواهد يصح بها انظر الإرواء ٢٦٢٢ .

(١) متفق عليه نحوه .

(٢) الرشوة لفضيلة الإمام جاد الحق على جاد الحق مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤١٣هـ ص ٣٠٦ .

(٣) سُبل السلام للإمام الصنعانى جـ٤ ص ١٢٤ ط الحلبى ١٩٦٠م .

(٤) سلطة القاضى د / حسن عجوة ص١١٧ ط١٩٨٦م.

وحكم من يأخذ الرشوة التعزير لأن الرشوة ليس لها عقوبة معلومة وإنما يجتهد الوالى أو الإمام فى العقوبة بالتعزير والتعزير هو التأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ، ومآل المال الذى أخذه يعود إلى صاحبه إن عُرِفَ، وإلا وُضِعَ فى بيت المال

حكم الهدية للقاضى ؟

قال الصنعانى : إن كانت ممن يهاديه قبل الولاية فلا تحرم وإن كان لا يهدى إليه بعد الولاية وكانت ممن بينه وبين غريمه خصومة عنده فهى حرام على الحاكم والمهدى[1]

والهدية حرام للقاضى ولو كافأ عليها المهدى بأكثر منها وذلك لميل النفوس إلى المهدى[2]

٣ - القسم الثالث : الرشوة للإمام أو الوالى :

قال الإمام الشافعى وإذا أهدى واحد من القوم للوالى هدية فإن كانت لشىء ينال به حقاً أو باطلاً فحرام على الوالى أن يأخذها لأنه حرام عليه أن يستعجل على أخذه الحق لمن ولى أمره وقد ألزمه الله عز وجل أخذ الحق لهم وحرام عليه أن يأخذ لهم بالباطل[3]

٤ - القسم الرابع : الرشوة أو الهدية للعمال أو الموظفين :

إننا لو نظرنا فى مجتمعنا لرأينا أن سِرّ الفساد الذى استشرى فى المصالح فى الدول المختلفة إنما هو بسبب تقديم الهدايا للموظفين وهى فى حقيقتها رشوة مقنعة يصل بها صاحبها إلى غير حقه أو يفرضها العامل أو الموظف على المتعاملين معه من الناس ليصل بها إلى حقوقهم[4]

ويقول الشيخ الشعراوى عن الهدية والرشوة :

أما مشكلة قضاء الناس لمصالحهم إلا مقابل أن يدفع الإنسان مالاً معيناً فبعض الناس يقول : إنها هدية وبعض الناس يقول إنها صدقة لأن مرتبات الحكومة منخفضة وما هى بهدية ولا صدقة وإنما هى وسيلة للوصول إلى الحق وفى هذه الحالة حلالٌ لى أن أدفع للموظف وحرام عليه أن يأخذ لأنى أريد أن أصل إلى حقى وهذه الرشوة هى التى ستوصلنى إلى الحق ولذلك لا حُرمة على معطيها وإنما الحرمة على آخذها[5]

(١) سبل السلام جـ٤ ص ١٢٤ ط الحلبى ١٩٦٠م تحقيق الأستاذ / محمد عبد العزيز الخولى .

(٢) دراسات فى الفقه المالكى د / عبد الجليل سعد القرنشاوى ص ٣٦

(٣) الأم للإمام الشافعى جـ٢ ص ٨٧ ط دار الغد العربى ١٩٩٠م .

(٤) العدل والطهارة فى قضية الإمارة د / الحسينى أبو فرحة مجلة منبر إسلام مايو ١٩٩١م

(٥) الحلال والحرام للشيخ الشعراوى عرض مجلة منبر الإسلام ص ١١٠ مايو ١٩٩١م .

ويقول شيخ الأزهر :

أما صاحب الحق والمصلحة إذا ابتلى بظالم من هؤلاء الذين لا ينجزون المصالح إلا إذا دفع أصحابها لهم ما يرويدن فإن عليه أولاً أن يقاوم هذا الظلم وأن يسلك كل سبيل يمنع هؤلاء الظالمين ويردهم إلى الطريق الحق والعدل .. فإن سلك صاحب الحق هذا السبيل ولم يجد من يعينه وينصره ويساعده على منع الظلم عنه والوصول إلى حقه فهو مضطر لاستخلاص حقه من هذا الظالم بما يدفعه من مال ما دام قد عجز عن إنجاز مصلحته بغير هذا الطريق ولا يكون فى هذه الحالة راشياً يستحق اللعن فهو مظلوم يدفع الظلم عن نفسه بوسيلة لم يستطع سواها والإثم كله واقع على هذا الموظف الظالم الذى أرغمه على سلوك هذا السبيل

جزاء آخذ الرشوة :

١ - يأتى آخذ الرشوة يوم القيامة ويحمل ما أخذه على عنقه من أى شىء : بعير كان أو بقرة أو شاة . قال رسول الله ﷺ: «... والذى نفسى بيده لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ... » رواه مسلم

٢ - أن فى أخذ الرشوة مشقة على الناس ولقد دعا ﷺ بالشقاق والمشقة على من ولى أمر من ولاية أو إمارة أو أى وظيفة يتعامل بها مع الناس فقال ﷺ : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به »[1] وله شاهد فى رواية أخرى « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » متفق عليه .

٣ - ثم إن هذا المال قد أخذ من صاحبه غصباً والغصب حرام بالإجماع وإن صاحبه غير راض عن دفعه إلى هذا الغاصب ، قال ﷺ : « لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب من نفسه »[2]

٤ - وقال عليه الصلاة والسلام : « كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به »[3]. وسئل الإمام أحمد بم تلين القلوب ؟ قال بأكل الحلال . ولذلك نجد أكلة الحرام قلوبهم قاسية ظالمة اللهم باعد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين المشرق والمغرب

(١) رواه مسلم من حديث عائشة وما بعده من حديث معقل بن يسار .

(٢) صحيح ورد عن أبى حرة الرقاشى وأبى حميد الساعدى وعمر بن يثربى وابن عباس وانظر الإرواء ١٤٥٩ .

(٣) لا يصح أخرجه البيهقى وأبو نعيم انظر كشف الخفا .

من وسائل التربية الروحية

بقلم
فضيلة الشيخ
عبد اللطيف محمد بدر
رئيس تحرير مجلة التوعية
الإسلامية (سابقاً)

• فالصلاة وهى عماد الدين والفريضة المتكررة فى اليوم والليلة خمس مرات إذا واظب عليها المسلم وأداها أداء كاملاً مستوفياً لشروطها وأركانها وسننها وآدابها ، فإنها تمنحه طاقة روحية عالية ، وتعطيه قوة معنوية هائلة ، فيكون الله عز وجل فى نفسه أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم ، فتنزل السكينة فى نفسه والطمأنينة بقلبه ، ويرى ما دون الله صغيراً وما سواه حقيراً ، فلا يخشى إلا الله ولا يهاب أحداً سواه ، لأنه يفتتحها بتكبير الله عز وجل ويعظّم فى أثنائها ربَّه الذى بيده ملكوت كل شىء .

• وتتجدد هذه الطاقة وتزداد هذه القوة بتكرار الصلاة وبمقدار خشوعه فيها ، ولذلك كانت هى قرة عين رسول الله ﷺ وراحة باله ، يفزع إليها كلما حزبه أمر أو نزل به

• والعبادات التى فرضها الله على المسلم فى الإسلام وسيلة ذات أثر بالغ فى تقوية روحه وصفاء قلبه وطهارة نفسه فتشرق عليه شمس المعرفة الإلهية وتغمره أنوار الهداية الربانية فيكون المسلم عبداً ربانياً دائم الصلة بالله قوى الروح قوى الإرادة متحرراً من القيود المادية والأغلال النفسية فلا يضعف ولا يستكين لأنه يستمد قوته من قوة الله التى لا يعجزها شىء ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية ١٤٦ - آل عمران] . والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [الآية ١٢٨ - النحل] .

كرب فى السلم أو فى الحرب ويستعين بها على مواجهة الصعاب بل وعلى ملاقاة الأعداء ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الآية ١٥٣ - البقرة - وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ الآية ٤٥ - البقرة .

● وهى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، وهما عاملان من أشد عوامل الضعف الروحى ، الذى ينحدر بالإنسان من عليين إلى أسفل سافلين حيث يتساوى مع البهائم والأنعام بل يكون أضل منها وقد خلقه الله فى أحسن تقويم وكرَّمه وفضَّله على كثير ممن خلق . قال الله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ الآية ٤٥ - العنكبوت .

وهى تطهر صاحبها من درن المعاصى وسيئات الذنوب ، التى تُثقل الروح ، وتجعل النفس خبيثة لا تنهض إلى معالى الأمور ولا تقوى على أداء الواجبات ، فقد روى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أرأيتُم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسلُ منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء؟ » قالوا : لا يبقى من درنه قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بِهِنَّ الخطايا » .

وروى مسلم رحمه الله عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما من امرئٍ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبة فيُحسن وضوءَها وخشوعَها وركوعَها إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تُؤت كبيرةٌ وذلك الدهرَ كلَّه » .

● ولذلك فقد أُمرنا بالمحافظة على الصلاة فى السلم وفى الحرب وعلى كل حال ، ولا تسقط عن المسلم العاقل مهما كان مريضاً أو صحيحاً بل يؤديها كيفما تيسر له ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، قال الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ . فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ الآيتان ٢٣٨ ، ٢٣٩ - البقرة .

● ولما للصلاة من أثر عظيم فى إحراز النصر وكسب المعارك فإن على القائد المسلم أن يقيم

الصلاة جماعة بجنوده عند ملاقاة الأعداء وفق نظام وضعه لذلك الإسلام ويشير إليه قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُم طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الآية ١٠٢ - النساء] .

● وهكذا فريضة الصيام تُقوى فى نفس المسلم الخشية من الله ومراقبته والخوف منه ، وتُقوِّى فيه الإرادة والعزيمة ، والقدرة على ضبط النفس وكفها عن الشهوات ، وتدريبها على تحمل الجوع والظمأ فترة من الزمان ، وكثيراً ما يعرض ذلك للإنسان ، وخاصة الذين يكونون فى ميادين الجهاد والقتال والأحوال غير الطبيعية ، وبذلك يكون المسلم سيد نفسه ومالك زمامها فتنقاد له ولا ينقاد لها فيسلم من شرها وينجو من سوئها قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية ٥٣ - يوسف .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الآية ١٨٣ - البقرة . وتقوى الله عز وجل هى خير ما يتزود به المسلم فى دنياه وفى أخراه ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الآية ١٩٧ - البقرة ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الآيتان ٢ ، ٣ - الطلاق .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الآية ٢٩ - الأنفال .

● والزكاة وهى حق الفقير الذى فرضه الإسلام فى مال الأغنياء ، تُزكى نفس المسلم وتطهِّره من الشح والبخل ، وتعوِّده على البذل والتضحية ، إلى جانب ثمارها الاجتماعية التى تعمل على تقريب الفوارق ، وتأليف القلوب ، وإيجاد التعاطف والتراحم بين الأغنياء

والفقراء فى المجتمع المسلم الذى يلتزم بأداء الزكاة ، وقد قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ الآية ١٠٣ - التوبة . وقال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا خَيْراً لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الآية ١٦ - التغابن . وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم رحمه الله عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ... واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

● وفريضة الحج إلى البيت الله الحرام التى فرضها الله على المستطيع من المسلمين بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ الآية ٩٧ - آل عمران .

لهذه الفريضة دور كبير فى تربية المسلم وخاصة فى ناحيته الروحية ، فقد تجمَّع فيها ما تفرق فى غيرها من العبادات من حين يخرج الحاج من بيته ملبياً لربه وإلى أن ينتهى من مناسك حجه ، فهو فى صلة روحية دائمة مع الله عز وجل ، وهو فى بذل وعطاء ، وهو فى جهاد شاق غير أنه لا قتال فيه ، وهو فى حركة دائبة يتنقل من مكان إلى مكان ومن منسك إلى منسك وكأنه يتدرب على التحرك السريع طاعة لله وإذعاناً لأمره ، وذلك يعوده على الطاعة لقائده وسرعة الحركة والتنقل وهما من خصائص الإنسان ، ومن لوازم الحياة فى السلم وفى الحرب ، وهو مجاهد لنفسه كاظم لغيظه متحمل لما يصيبه من أذى إخوانه ولما يواجهه من صعاب ومشاق . وقد نُهى حتى عن مجرد الجدال مع غيره ، فقال الله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ الآية ١٩٧ - البقرة .

وقد روى البخارى ومسلم رحمهما الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وهذا هو الحج المبرور الذى ليس له جزاء إلا الجنة ، ولذلك كان الحج المبرور تالٍ فى الفضل للجهاد فى سبيل الله كما روى البخارى ومسلم رحمهما الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سُئل النبى ﷺ : أىُّ العمل

أفضل ؟ . قال : « إيمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ . قال : « حج مبرور » .

● ومن وسائل التربية الروحية للفرد المسلم غير ما تقدم ، قراءة القرآن ، والدعاء ، والذكر ، والاستغفار ، ونحو ذلك مما يجعل المسلم على صلة دائمة بالله تعالى ، وقد رغَّب فيها الإسلام وأكَّد عليها ، وكان النبى ﷺ ذاكراً لله فى كل أحيانه وعلى كل أحواله ، وقد دعانا إلى أن يكون لساننا دائماً رطباً بذكر الله تعالى ، فقد روى الترمذى رحمه الله وحسنه عن عبد الله بن بُسْر رضى الله عنه أن رجلاً قال : يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثُرت علىَّ فأخبرنى بشىء أتشبث به قال : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » . وروى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظنِّ عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأٍ ذكرته فى ملأٍ خير منهم » .

● فبالعبادات تحيا النفوس وتطمئن القلوب وتقوى الأرواح وترتفع معنويات المسلم لشعوره دائماً أن الله معه وأن الله يذكره ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ الآية ١٥٢ - البقرة .

وفى الحديث الذى رواه البخارى رحمه الله عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت » . وقال تعالى : ﴿ والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ الآية ٣٥ - الأحزاب .

وقد أخذ رسول الله ﷺ بيد معاذ رضى الله عنه وقال : « يا معاذ والله إنى لأحبك » فقال : « أوصيك يامعاذ لا تدَعَنَّ فى دبر كل صلاة تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

● وهكذا نرى فى العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة وسيلتين كفيلتين بتقوية روح المسلم ورفع معنوياته حتى ما يخشى أحداً إلا الله عز وجل .

العدل العدل

بقلم
إبراهيم حافظ رزق
منشأة البكارى - الجيزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

- فمعلوم أن الإسلام هو دين المبادىء القويمة والسلوك الحسن ، فما من سلوك طيب إلا دعا الإسلام إليه ، وما من فضيلة إلا حثَّ الإسلام أتباعه على الالتزام بها ، ومن المبادىء التى دعا إليها الإسلام مبدأ « العدل والقيام بالقسط » ، فبالعدل قامت السماوات والأرض ، قال تعالى : ﴿ والسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٧ - ٩] ، وبالعدل ومن أجل العدل أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، ولتحقيق العدل يبعث الله الأولين والآخرين ليفصل بينهم ، قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ . [الأنبياء : ٤٧]

والعدل هو الإنصاف والمساواة وعدم الجور ، وقيل هو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه ، والعدل اسم من أسماء الله التى سمى بها نفسه فهو سبحانه الحكم العدل ، لذلك أمر بالعدل فى القول والفعل فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ... ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْى ... ﴾ [النحل : ٩٠] ، وقد أمر الله رسولنا محمداً ﷺ بالعدل فقال تعالى : ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ... ﴾ [الشورى : ١٥] وأمر نبيه داود عليه السلام بذلك فقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ

اللَّهِ ... ﴾ [ص : ٢٦] ، وأمر الله المؤمنين بالعدل فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٥] ، فالقيام بالعدل يمنع البغى والظلم ويكفل المساواة بين الناس فيعطى كلّ ذى حق حقه ويتساوى الأقارب والأباعد والأصدقاء والأعداء والأغنياء والفقراء ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ... ﴾ [المائدة : ٨] ، فلا يجرمنكم شنئان قوم أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل اعدلوا فذلك أقرب للتقوى وأدلُّ على صفاء النفس وسلامة القلب من الهوى والتعصب لغير الحق ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ لما أرسل عبد الله بن رواحة إلى يهود خيبر ليقتسم معهم محصولهم من الثمار والزروع حسب ما تعاهد معهم عليه رسول الله بعد فتح خيبر ، حاول اليهود رشوته ليرفق بهم فقال لهم عبد الله : والله لقد جئتكم من عند أحبّ الخلق إلَىّ ولأنتم والله أبغض الناس إلَىّ وما يحملنى حبى إياه وبغضى لكم على أن لا أعدل فيكم ، فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض ، وكما قال ابن تيمية رحمه الله : إن أمور الناس تستقيم فى الدنيا مع العدل ولا تستقيم مع الظلم .

- والعدل يكون على أقسام منها :

أ - العدل بين العبد وربه ، وذلك بإيثار حق الله على حظ النفس وتقديم رضاه سبحانه على هوى النفس والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه ، وأعدل العدل القيام بحق الله سبحانه من توحيده وعبادته وإخلاص العمل له ، فصرف شىء من أمور العبادة لغير الله سبحانه شرك بالله ، والشرك بالله ظلمٌ لأنه وضع للأمور فى غير موضعها ومساواة للمخلوق بالخالق ، وهذا ما ذمه الله فى القرآن حيث يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] .

ب - عدل الإنسان مع نفسه : وذلك بتعويدها على طاعة الله ودفعها لعمل الخير وكفها عن الشر ، وإلزامها تقوى الله فى السر

(١) حسن أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما .

والعلن ، فالمعاصى كلها ظلم وجور والطاعات كلها عدل وإنصاف .

جـ - عدل الإنسان مع غيره : وذلك بأخذ ما له وإعطاء ما عليه ، وبذل النصح للغير وترك الخيانة والانتصاف من نفسه .

- وكل إنسان مطالب بتحقيق هذه الأقسام من العدل حتى يُحسن صلته بالله أولاً ثم بالناس ، فالعدل مسئولية كل مسلم فى أى موقع كان ، فالحاكم مطالب بتحقيق العدل بين أفراد رعيته التى استرعاه الله عليها ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته ، ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله كما فى الصحيح . « إمام عادل ... » ، ولا يقصد بالإمام العادل ولى الأمر أو الحاكم فقط ، بل كل إنسان ولاه الله أمر أناس وجعله قوام عليهم هو إمام ، فالقاضى بين خصومه إمام ، وصاحب العمل بين عماله إمام مطالب بالعدل بينهم ، والمدير بين موظفيه إمام مطالب بتحقيق العدل بينهم ، والوالد بين أولاده مطالب بتحقيق العدل وعدم تفضيل ولد على غيره أو إيثار ذكر على أنثى لقول الرسول ﷺ : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » ، والزوج مطالب بتحقيق أقصى ما يستطيعه من العدل بين زوجاته إن كان له أكثر من زوجة ، روى أصحاب السنن من حديث أبى هريرة : « من كانت له زوجتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل »[1] .

- وقد ضرب الرسول ﷺ وهو الأسوة المثل في تحقيق العدل في كل أقواله وأفعاله ، فكان يُقسم بين نسائه فيما يملك ويعدل فى تلك القسمة وكان يقول فيما يرويه أبو داود : « اللهم هذا قَسْمِى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »[2] يعنى ميل القلب ، ومما يُضربُ به المثل فى عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التى سرقت فقطع يدها ورفض شفاعة أسامة بن زيد فيها وقال فيما يرويه البخارى : «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

- فلتكن لنا فى رسولنا ﷺ الأسوة الحسنة فى تطبيق العدل والقيام بالقسط ، وطوبى لمن يوفقهم الله للعدل فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

(١) صحيح وقد أعله بعضهم وانظر الإرواء ٢٠١٧ .

(٢) ضعيف أخرجه أصحاب السنن وغيرهم وهو معل بالإرسال انظر الإرواء ٢٠١٨ .

بقلم
ا . أحمد صالح عمانة
موجه بالتربية والتعليم

نحن وأفريقيا

الذين لا يعرفون تاريخ العلاقات الأفريقية جنوب الصحراء بمنطقتنا العربية ويجهلون التكوين السكانى الحالى لأغلب هذه الدول الأفريقية ، يهملون فى تفسيرهم للأحداث المصيرية التى تقع بين هذه الدول ودول المنطقة العربية عوامل أساسية ويقدمون تفسيرات سطحية .

فمنذ آلاف السنين ، عرف الفينيقيون القيمة الاقتصادية لما نعرفه اليوم باسم أفريقيا جنوب الصحراء – حيث لم تكن الصحراء بهذا الاتساع – فأقاموا مدينتهم التجارية قرطاجنة على السواحل الشمالية لأفريقيا . وتحكموا فى تجارة إقليم البحر الأبيض وفى موجة من موجات الجفاف التى اجتاحت المنطقة فى نهايات العصر الرومانى ، اتسعت الصحراء ، ولكن العلاقات بين شمال وجنوب الصحراء لم تنقطع حتى بعد أن هدم الرومان قرطاجنة . ونشأت شبكة طرق صحراوية تربط شمال الصحراء بجنوبها واحد من هذه الطرق ، كان يربط مصر بمنطقة بحيرة تشاد وكل غرب أفريقيا وعبر شبكة الطرق هذه ، كانت كل منتجات أوروبا والمنطقة العربية القابلة للتصدير تتجه إلى أفريقيا . وكانت القوافل تعود من أفريقيا محملة بالذهب ، والعاج وريش النعام وخشب الأبنوس والبخور والتوابل الأفريقية ، وفى بعض الأحيان العبيد ، ويذكر المؤرخون أن قافلة سنوية من اثنى عشر ألف جمل ، كانت تصل إلى مصر محملة بهذه البضائع عبر هذه الطرق . حين كان تعداد مصر لا يتعدى حفنة ملايين .

ولما تم طرد المسلمين من الأندلس فى القرن الخامس عشر ، تمكن هنرى الملاح ، حين عبر إلى أفريقيا متتبعاً فلول المسلمين ، أن يرى إحدى هذه القوافل . ففكر فى أن يحرم المسلمين من هذه الثروة . وبدأ يخطط للوصول إلى مناجم هذا

الذهب عن طريق البحر وأن يعمل على تحويل هذه التجارة لتصبح فى أيدى البرتغاليين . ومات هنرى . ولكن شأن كل إدارة علمية ، لم تمت الفكرة . ولم تتوقف البرتغال ولا أوروبا كلها ، حين اقتنعت بالهدف بعد أن تم صبغه بصبغة دينية .. واستطاعت أوروبا أن تصل إلى أفريقيا عن طريق البحر ، وأن تحول هذه التجارة الهامة عبر البحر إلى أوروبا ، وحرمان المسلمين من ثمراتها . ثم قسمت أوروبا أفريقيا إلى دول بعد أن أخلت دولاً بكاملها من سكانها ، أخذوا عبيداً وبيعوا فى أمريكا وأوروبا .

ولما تم اختراع الآلة لم تعد الدول الأوروبية فى حاجة إلى يد عاملة من العبيد ، وفى نفس الوقت ، كانوا فى حاجة إلى هذه اليد العاملة فى بلادها لتزرع وتنتج المواد الخام اللازمة للصناعة . وهنا بدأت أوروبا تفكر فى تحريم التجارة فى العبيد ، وتم الإعلان عن ذلك فى عهد عصبة الأمم . وحتى تستعيد أوروبا ثقة أفريقيا وشعوبها بدأت تبذر بينهم بذور المسيحية . لهذا نلاحظ فى أغلب الدول الأفريقية ، أن المسيحية القادمة من طريق البحر ، استقرت فى الجنوب ، والإسلام الذى جاء من الصحراء استقر فى الشمال . ولكن نلاحظ أيضاً أنها مسيحية ذات طابع خاص . ففى فترة الاستعمار ، كانت كل دولة مستعمرة تحاول أن تربط المسيحية فى مستعمراتها بالدولة صاحبة السيادة ، تجارياً وثقافياً وكان المسلمون واللادينيون أكثر مقاومة لهذه الاتجاهات . وحين كانت دولة أفريقية تحصل على استقلالها كان المبشرون من كل أوروبا يتجهون إلى هذه الدولة . لهذا تجد فى كل مدينة أفريقية عدداً كبيراً من الكنائس ، وأتباع كل كنيسة يدينون بالولاء للدولة الأم لهذه الكنيسة . وزرع الأوروبيون العداء بين هذه الكنائس لأن هدفهم ليس الدين . وبقيت الصلات منقطعة بين هذه المناطق والعالم العربى فبدأت اتجاهات ثقافية غربية ساعد عليها انتشار اللغات الأوروبية وارتباط الصناعة بالغرب . وزاد على ذلك نمو اتجاهات معادية للعالم العربى والثقافة العربية . كل هذا حدث فى غياب العالم العربى عن هذه المناطق وعلينا أن نراعى هذه الاعتبارات فى تعاملاتنا مع أفريقيا . والله من وراء القصد .

١ . أحمد صالح عماشة

دفاع عن ضبط المصحف والقراءات المتواترة

بقلم
أحمد مصطفى محمد
رضوان سلطان
بندار الشرقية - جرجا
مدرس - تخصص القراءات
بالأزهر الشريف

أقول فى المقدمة . فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عالم جليل ، معروف للجميع بالغيرة على الدين ، والأدب الجم ، ودماثة الخلق ، ومعرفة الفضل لذويه ويعلم الله بمدى حبى له وإعزازى إياه ، ولكنى كما قال الإمام الحافظ الذهبى عن الإمام ابن تيمية . شيخ الإسلام حبيب إلينا ، ولكن الحق أحب إلينا منه .

فضيلة الشيخ وهو يتعرض فى خواطره الإيمانية لسورة الروم عند قوله تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (٣٤) للسورة السابقة كان مما ذكر فضيلته عن اللام فى قوله تعالى : ﴿ ليكفروا ﴾ أنها لام أمر والأصل فيها السكون ، وكان يجب على كتاب المصحف التنبيه لها من الآن وضبطها بالسكون بدلاً من الكسرة لأن القرآن مبنى على الوصل .

فنقول لفضيلة الشيخ : نعم القرآن مبنى على الوصل ، ولكن ما الأصل فى هذه اللام التى تسمى لام أمر ، أو اللام الطلبية ؟ لأنه قيل : تسميتها باللام الطلبية هو الأصح ، لأن الطلب يشمل صوراً ثلاثة ، وقد ذكر ذلك فضيلته فى لقاءات سابقة .

الصورة الأولى :
الأمر : ويكون صادراً من أعلى درجة إلى من هو أقل منه .

الصورة الثانية :
الدعاء : ويكون صادراً من الأدنى إلى الأعلى .

الصورة الثالثة :

الالتماس : ويكون صادراً من مساوٍ إلى نظيره .

نعود إلى حديثنا عن اللام ، فبعد أن أكد فضيلته أن اللام هى لام الأمر بدليل قوله تعالى : ﴿ فتمتعوا ﴾ ولام الأمر ساكنة ، واستدل على ذلك بآية سورة الحج فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[1] فاللام ساكنة فى الكلمات الثلاث ثم استدل فضيلته بآية أخرى جمعت الاثنين وهى قوله تعالى فى سورة الطلاق ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَاهُ اللَّهُ ﴾[2] فاللام فى الموضعين للأمر بالرغم من كسرها فى الأول وتسكينها فى الموضع الثانى ، ﴿ فلْينفق ﴾ ، فنقول رداً على ما ذكره فضيلة الشيخ واستشهد به : بأن الأصل فى لام الأمر الكسر وليس السكون كما ذكر فضيلته ، لأنه لو كان الأصل السكون لأنكرنا عدة قراءات متواترة بالكسر لِلَّام حتى ولو كانت فى الوسَط . وهاهى الأدلة على ذلك .

١) ذكر القرطبى فى تفسيره لسورة العنكبوت عند قوله تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ ﴾[3] عند اللام فى كلمة ﴿ وليتمتعوا ﴾ بأن الأصل فى اللام الكسر[4] بدليل أن فيها قراءتين سبعيتين .

٢) قراءة ورش وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بكسر اللام وصلاً وبدءاً ، لأن الأصل فى لام الأمر الكسر[5] وذلك فى قوله تعالى ﴿ لِيَتَمَتَّعُوا ﴾ فى سورة العنكبوت وهى قراءات متواترة .

٣) ذكر الدكتور عباس حسن فى كتابه الوافى (النحو الوافى) بأن تحريك اللام بالكسر هو الأكثر ، إذا لم يسبقها الواو ، أو الفاء ، أو ثم . فإن سبقها أحد الأحرف الثلاثة جاز تسكينها وتحريكها ولكن التسكين أكثر (انتهى بتصرف)[6] .

٤) فى آية الحج التى استشهد بها فضيلة الشيخ على أن الأصل لام الأمر السكون لأنها وردت ساكنة فى هذه الآية . نقول صحيح ضُبِطَتْ اللام فى الكلمات الثلاث « ثم لْيقضوا - ولْيوفوا - ولْيطوفوا » بالسكون لأنها موافقة لقراءة حفص غير

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة الحج .
(٢) الآية رقم (٧) من سورة الطلاق .
(٣) آية (٦٦) من سورة العنكبوت .
(٤) القرطبى ج ١٣ ص ٢٤١ ط بيروت .
(٥) المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها ج ٢ ص ١٥٧ ط الأميرية .
(٦) النحو الوافى لعباس حسن ج ٤ ص ٤٠٨ ط دار المعارف .

أن ورشاً وأبا عمرو وابن عامر قرءُوا « ثم ليقطع » بكسر اللام وأسكن الباقون ، وكلها قراءات متواترة ، ومثله فى قوله تعالى : ﴿ ثم ليقضوا ﴾ غير أنَّ (قُبُلاً) معهم على الكسر .

وقرأ (ابن ذكوان) ﴿ وليوفوا ﴾ ، ﴿ وليطوفوا ﴾ بكسر اللام فيهما - وقرأ الباقون بالإسكان ، وكلها قراءات متواترة لم ينكر عليها أحد . وها هى حُجَّة القراءتين .

- حُجة من كسر اللام أنها لامات أمر أصلها الكسر ، فأتى بها على الأصل كما لو ابتدأ بها لم تكن إلا مكسورة ، فأجراها مع حرف العطف مجراها بغير حرف العطف فى الابتداء وكأنه لم يعتد بحرف العطف وهو الاختيار .

أما حُجة من أسكن أنه على التخفيف للكسرة ، فأسكنها وكأنه اعتدَّ بحرف العطف ، وقد منع المبرد إسكان اللام مع « ثم » لأنها كلمة يوقف عليها[٧] .

وقد رُدَّ على المبرد بأن هذه اللام بعد « ثم » أتت مكسورة وأتت ساكنة وقد ورد ذلك فى القراءات المتواترة .

٥) المصحف الشريف وُضِعَت له علامات الإعراب وهى الفتحة والضمة والكسرة من عهد (معاوية) أى أكثر من ١٣٨٠ ألف وثلاثمائة وثمانون عاما تقريباً هجرية وكانت نُقَطاً ، ثم أدخل عليها تحسيناً (الخليل بن أحمد) وظل الأمر على ذلك مع إدخال تغيير طفيف حتى عصرنا هذا[٨] .

إذن ضبط المصحف على ما عليه الآن ضبط سليم على ما قرره وحققه علماء الضبط والمتخصصون فى القراءات على ما يوافق رواية حفص عن عاصم . بعد هذا العرض يتضح لنا أن لام الأمر الأصل فيها الكسر وهو الأكثر ، ويجوز تسكينها وكسرها بعد حروف العطف (الواو - الفاء - ثم) وبذلك وردت القراءات المتواترة ، فكسر لام الأمر فى قوله تعالى فى سورة الروم ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآءَاتَيْنَاهُمْ ﴾ هو الصحيح وعدم المطالبة بتسكين اللام كما طالب بها فضيلة الشيخ هو الصحيح فلام الأمر مكسورة وحتى ولو كانت لام تعليل فهى مكسورة ، ولم تكسر لأنها فى بداية الآية . هذا والحقَّ أردتُ والخيرَ قصدتُ دفاعاً عن ضبط المصحف وعن القراءات المتواترة ، وهكذا العلماء هم بشر الواحد منهم يخطىء ويُصيب

(٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ج ٢ ص ١١٧ ط دار الرسالة .

(٨) إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين لمحمد محمد سالم محيسن ص ١٦ ط دار الشعب ، وتاريخ المصحف الشريف لعبد الفتاح القاضى

وصايا الحجاج بيت الله الحرام

أيها الحجاج الكرام نحمد الله تعالى أن مَنَّ عليكم ووفقكم بحج بيته وزيارة حرمه وأسأل الله أن يجعله حجاً مقبولاً لوجه الله . قبل أن أدخل معك أخى الحاج فى بيان أوهام الحج وبدعه رأيت لزاماً علىَّ أن أتقدم إليك بهذه الوصايا راجياً من الله أن يجعل حجك مبروراً وسعيك مشكوراً وذنبك مغفوراً .

أولاً : – إياك والشرك بالله فإنه محبط للعمل لقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فهناك من الحجاج من يقع فى الشرك وهو فى بيت الله الحرام وفى المسجد النبوى الشريف يتركون دعاء الله ويدعون النبى ﷺ ويستغيثون به وقد اغتر كثير من الحجاج بما ورد فى بردة الإمام البوصيرى من شركيات منها :

ما لى من ألوذ به سواك
– عند حلول الحادث الهمم

نقول للمغترين بهذا القول الذى ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب .

لذ بالإله ولا تلذ بسواه
من لاذ بالملك الجليل كفاه

وكذلك الحلف بالصالحين ونذائهم من دون الله ولذلك قال تعالى : ﴿ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ . إن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَو سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَومَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنبئكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣ – ١٤]

فيا أيها الحاج قبل أن تنوى الحج عليك أن تعرف وتعلم ما ينافيه من الشرك وذلك بدراسة الكتاب والسنة وبسؤال أهل العلم لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ثانيا : – إياك والتحلى بالذهب ودعك من الشبهات والمزاعم والترهات بأن يكون لك عوناً على الحياة وعند نفاذ النقود أو عند الموت .. إلخ الحجج الواهية فإنه محرم على الذكور لقوله ﷺ : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نارٍ يجعلها فى يده » رواه

بقلم / السيد محمد مزيد

مسلم .

ثالثا : - إياك والتزين بحلق اللحية فإن فى حلقها آثاماً كثيرة وذنوباً وفيرة منها :

أ - مخالفة أمر النبى ﷺ باعفاء اللحية لقوله : « خالفوا المشركين احفوا الشوارب واعفوا اللحى » رواه الشيخان .

ب - التشبه بالكفار لحديث النبى ﷺ : « خالفوا أهل الكتاب » .

جـ - تغيير خلق الله عن طريق اتباع الشيطان ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ .

رابعا : - بادر بتعلمك مناسك الحج والعمرة بسؤال أهل العلم من العلماء العاملين بالكتاب والسنة لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

خامسا : - تحث أهلك على الطاعات والمحافظة على الصلوات المكتوبات والتمسك بالكتاب والسنة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَة عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

سادسا : - تكتب وصيتك الشرعية قبل سفرك وتبين فيها ما لك وما عليك من ديون ، تبادر بالتوبة وتقوم برد الودائع والأمانات إلى أهلها عملاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ .

ثامنا : - تختار المال الطيب للإنفاق منه على رحلة الحج لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . ولله در من قال : -

يا من حججت بمال أصله سحت
فما حججت ولكن حجت العير
لن يقبل الله فيك إلا كل خالص
فليس كل من حج بيت الله مبرور

أخى الحاج بعد أن سقت إليك بعض الوصايا النافعة لكى يكون حجك مبروراً وسعيك مشكوراً وذنبك مغفوراً أضع بين يديك بعض المعتقدات البالية والأوهام التى رسخت فى أذهان العوام ولها صلة بموضوع الحج لكى تكون على بينة من الأمر .

معتقدات العوام فى الحج والعمرة : -

أولا : - اعتقاد الناس بأن جبل عرفات سمى بهذا الاسم لتعارف آدم عليه السلام على حواء بعد غياب دام ردحاً من الزمن وهذا اعتقاد خاطئ فلم يثبت أن آدم حط بمكة أو صلى فى البيت الحرام وهل يعقل أن تفترق زوجة من

زوجها ولم يكن على هذه الغبراء سواهما فقد جاء فى سبب تسمية عرفات أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم أبا الأنبياء إبراهيم المناسك فعندما يعلمه ركناً من الأركان فيقول له هل عرفت يا إبراهيم فيقول عرفت « فسمى عرفات » .

ثانيا : - اعتقاد العوام بأنه إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة يضاعف ثواب الحج واعتقادهم أنه من حج يوم الجمعة كتبت له سبعون حجة فهذا اعتقاد خاطىء مبنى على حديث موضوع ، أن يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة أفضل من سبعين حجة فى غير يوم الجمعة وقد أشار علماء الحديث إلى أنه موضوع .

ثالثا : - اعتقاد العوام بأن الحاج الذى لم يزر الأماكن المقدسة ومقابر البقيع وشهداء أحد يعتبر أنه لم يكمل مناسك الحج وهذا اعتقاد باطل ووهم فإن مناسك الحج تنتهى بطواف الوداع ، أما عن زيارة قبر الرسول فتكون النية والقصد الصلاة فى مسجد الرسول ﷺ لما له من فضل عظيم ثم إلقاء السلام على الرسول وصاحبيه أبي بكر وعمر وزيارة المسجد الأقصى أيضاً والصلاة فيه لما له من فضل عظيم .

رابعا : - اعتقاد العوام من أن الله سبحانه وتعالى ينزل عشية عرفة على جمل ويصافح الركبان ويعانق المشاة وهذا وهم وباطل .

بدع الحج والعمرة والزيارة :

أخى الحاج بعد ما سقت إليك الوصايا والتوجيهات التى تضمن لك بمشيئة الله حجاً مبروراً وسردت إليك بعض المعتقدات التى علقت بأذهان العوام والسذج من الناس هأنذا أسرد لك بعض البدع التى تتعلق بالحج والعمرة والزيارة لتتجنبها وتحذر غيرك منها .

أولا : - التلفظ بالنية أو القول إنى أريد الحج فيسره لى أو الحج صامتاً لا يتكلم والتلبية الجماعية فى صوت واحد والتكبير والتهليل بدلاً من التلبية .

ثانيا : - الغسل للطواف والصلاة إذا دخل المسجد الحرام

ثالثا : - رفع اليدين عند استلام الحجر الأسود كما يرفع للصلاة وإحداث صوت عند تقبيل الحجر الأسود أو المزاحمة فى تقبيله أو التلفظ عند تقبيل الحجر الأسود .

رابعا : - الدعاء عند باب الكعبة وعند الركن اليمانى

وتحت الميزاب

خامسا : - تقبيل الركن اليمانى والركنين الشاميين والمقام واستلامهما والتمسح بالحيطان والمقام والعروة والوثقى.

سادسا : - كشف سرة الحاج وإلصاقها بسرة البيت عند مسمار فى وسط البيت الحرام.

سابعا : - قصد الطواف تحت المطر أو التبرك بالمطر والطواف بالثوب القذر.

ثامنا : - إفراغ ثؤر الحاج فى ماء زمزم والدعاء والاغتسال واهتمام الحجاج بزمزمة اللحى والنقود والثياب اعتقاداً من أنها تحل البركة بها والتنفس عدة مرات فى الشرب من ماء زمزم.

تاسعا : - الوضوء من أجل السعى عند الصفا والمروة والصعود على الصفا حتى يلتصق بالجدار والهبوط من الصفا وتكرار السعى وصلاة ركعتين بعد الفراغ من السعى.

عاشرا : - الإسراع فى الدفع من عرفة إلى المزدلفة والاغتسال للمبيت بها والتزام الدعاء بها والوقوف بها بدون بيات والتزام الدعاء عند المشعر الحرام ومن أدعيتهم المبتدعة عند المشعر الحرام - اللهم بحق المشعر الحرام ...إلخ، أدخلنا دار السلام.

حادى عشر : - الغسل لرمى الجمار وغسل الحصى قبل الرمى والتسبيح مكان التكبير وقولهم عند التكبير رغماً للشيطان وحزبه ... إلخ، والتزام وضع معين للأصابع عند الرمى وتحديد موقف للرامى.

ثانى عشر : - التصدق بثمن الهدى بدلاً من ذبحه وبحجة أن لحمه يذهب فى التراب نظراً لكثرة الذبائح وذلك منافياً لقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾.

[الحج : ٢٨]

ثالث عشر : صلاة الظهر والعصر قبل الخطيب وكذلك الأذان للظهر والعصر فى عرفة قبل أن ينتهى الخطيب من الخطبتين وكذلك التطوع بين صلاة الظهر والعصر يوم عرفة وتعيين أذكار خاصة بعرفة كقول بعض الحجاج يا من لا يشغله شأن عن شأن ... إلخ.

رابع عشر : - استمرار بعض الحجاج فى السعى بين الصفا والمروة وقد أقيمت الصلاة حتى تفوتهم الجماعة.

خامس عشر : التزام دعاء مبتدع بمنى كقول بعضهم اللهم هذه منى فأمنن علىَّ ... إلخ.

سادس عشر : - إيقاد الشمع الكثير بمنى عشية عرفة

والوقوف على جبل عرفة فى اليوم الثامن ساعة من الزمن احتياطاً خشية الغلط فى الهلال والدعاء ليلة عرفة بالدعاء المبتدع - سبحان الذى فى السماء عرشه .. إلخ ، وكذلك الرحيل من مكة إلى عرفة فى اليوم الثامن وكذلك الرحيل من منى إلى عرفات ليلاً وكذلك الاغتسال ليوم عرفة والدعاء قرب عرفة وعند رؤية جبل الرحمة وقول بعضهم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والتهليل على عرفة مائة مرة وقراءة سورة الإخلاص والصلاة على النبى والسكوت على عرفات وترك الدعاء وقول فيه آدم والصلاة فيها والطواف بها مضاهاة للبيت الحرام .

سابع عشر : - ذبح هدى التمتع بمكة قبل يوم النحر والبدء بيسار رأس المحلوق والاقتصار على حلق ربع الرأس واستقبال القبلة عند الحلق والدعاء عند الحلق .

ثامن عشر : - الاحتفال بكسوة الكعبة وكسوة مقام إبراهيم وربط الخرقة بالمقام والمنبر لقضاء الحاجات .

تاسع عشر : - ما يضعه الحجاج من كتابة اسمائهم على أعمده وحيطان الكعبة وكذلك مرورهم بين يدى المصلى فى المسجد الحرام .

عشرون : -

زيارة قبر النبى ﷺ قبل الصلاة فى مسجده والوقوف أمام القبر بخشوع وخضوع وخوف كما يفعل فى الصلاة واستقبال القبر عند الدعاء وقصد القبر للدعاء والتوسل به وطلب الشفاعة منه ووضع اليد على الشباك وتقبيل القبر واستلامه وقصد الصلاة تجاه القبر .

الحادى والعشرون : - القصد للصلاة فى المسجد النبوى الشريف أربعين مرة لكى تكتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق .

الثانى والعشرون : - زيارة البقيع يومياً والصلاة فى مسجد السيدة فاطمة رضى الله عنها وتخصيص يوم الخميس لزيارة شهداء أحد وربط الخرق بالنافذة المطلة على أرض الشهداء والتبرك بالبركة الموجودة بالقرب من قبور الشهداء .

هذه بعض وليس كل البدع التى يصنعها بعض الحجاج لكى تكون على بينة من الأمر فى هذه الرحلة المباركة وتضع نصب عينيك حديث النبى ﷺ : « خذوا عنى مناسككم لعلى لا أحج بعد عامى هذا » .

أخى الحاج : بعدما سردت لك الوصايا والتوجيهات وبينت لك بعض المعتقدات وأوضحت لك بعض البدع والمحدثات وهذا يسير من كثير من اعتقادات العوام وأوهامهم وبدعهم حول الزيارة الشريفة والرحلة المباركة وما يتعلق بها لعلى أكون قد قدمت شيئاً يعرفه الراغبون فى أداء مناسك الحج كى يجتنبوه وليكون لهم هداية ومشعلاً على الطريق يهتدون به ويكون عوناً للمسلمين فى سلوك طريق سيد المرسلين ومعك أخى القارىء فى لقاء قادم لأبين لك خطوات الحج والعمرة خطوة خطوة كما فعلها الرسول ﷺ ، والله يقول الحق ويهدى إلى سواء السبيل .

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية
بأن جمعية أنصار السنة المحمدية
الكائن مقرها بناحية هرية رزنة مركز الزقازيق
قد تم شهرها طبقاً لأحكام القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ .
بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة ، واللائحة التنفيذية لذلك القانون تحت
رقم ٨٤٥ محافظة الشرقية اعتباراً من ١٩٩٣/٣/٢
للعمل في ميدان ١ - الخدمات الثقافية والعلمية والدينية
٢ - المساعدات الاجتماعية .
تحريراً فى ١٩٩٣/٣/٢م

وكيل الوزارة

محمد إمام أبو طالب

• المعاصى صد فى باب الكسب ، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .

تالله ما جئتكم زائراً إلا وجدت الأرض تطوى لى .
ولا انثنى عزمى عن بابكم إلا تعثرت بأذيالى

• الأرواح فى الأشباح كالأطيار فى الأبراج ، وليس ما أعد للاستفراخ كمن هيىء للسباق